

رواية

مقبلة العموض

راضى عبده





بستان الكتب

تذكر أنك حملت هذا الكتاب من موقع بستان الكتب

إهداء

لزوجتي الحسنة وجوهرتي الماسية ذات المعدن
 الأصيل النادر، تلك التي لم يختلج القلب لسواها،
 والتي راهنت نفسي على أنها حبيبة عمري، وعندما
 جادلني عقلي لم أنصت له، ولم أناقشه، أوصدت كل
 الأبواب وأغلقت كل الملفات، لأتشكل في الهوى
 عصفوراً مغرداً في سماء العشق، لا سبيل لعودته إلى
 أرض الفناء أبداً، لتمضي الأيام ويترعرع حُبنا ويصعد
 سلالم السنين، حتى يفيض ليسيطر على جميع أفكار
 وبديع أحلامي ويحتل زماني ومكاني، لأؤكد يوماً بعد
 يوم أنني قد ربحت الرهان منذ الوهلة الأولى لحلول
 قدري الجميل على مجرى حياتي ليكللها بفرحة الدنيا.

إهداء خاص جداً

إلى بَراعمي الصغار النُّصار المُزهرين الناثرين في
 بستان حياتي الغنَّاء عُطورهم الفَوَّاحة، العازفين
 بلمساتهم الحانية على أوتار أيامي أروع وأبهج
 الألحان، فلذات أكبادي وقُرَّة عَيْني أبنائي مُهجات قلبي
 ورَّوحي «رواء ، فارس ، سيف ، لمار» عطايا السماء،
 وكفى بهم نعمة من الله.

وهي في طريقها إلى أوكارها وجحورها هرباً من عضه الصقيع القادم..

ومن بعيد لاحت في الأفق سحابة غبار كثيفة، راحت تنقشع وتتبدد شيئاً فشيئاً، بعد أن شق الظلام أضواء مصابيح ثلاث سيارات زرقاء قوية مميزة ومعروفة لرجال الشرطة، وهي تنهب الطريق المتأخم للجبل في طريقها إلى سجن قنا العام، وبات من الجلي للمتابع عن كثب لهذا الموكب أن السيارتين الأولى والأخيرة قد برزت من نوافذها فوهات مدافع آلية قوية بقبضات رجال قوات خاصة أشداء، أحاطوا كالأخطبوط إحاطة السوار بالمعصم بالعربة الوسطى المصفحة، والمصممة خصيصاً لنقل المساجين ذوي الفئة الإجرامية « أ »، مؤكدين بما لا يدع مجالاً للشك الخطورة الشديدة لهؤلاء المساجين الذين يتم ترحيلهم، نظراً لاستحكامات التأمين القوية من طاقم الحراسة المتحفز المرافق لهم..

ترصد بمناظير خاصة للرؤية الليلية حركة سير طابور السيارات القصير، الذي لم يكد سائق سيارة المقدمة فيه يهدئ من سرعتها، لكي يتأهب لعبور منحني جبلي وَغَر يشرف على جُزْف شاهق خطير، حتى ارتفعت هامة أحد المسلحين المقنعين، وقد حمل على كتفه الأيمن قاذف صواريخ روسي طويل المدى طراز « آر بي جي » مضاد للمدرعات، صوبه تجاه السيارة الأمامية وحسم الأمر بأن ضغط زناد إطلاق الصاروخ، الذي انطلق بالفعل من عقاله يجر خلفه ذيلاً طويلاً من النيران المتوهجة، ليصيب هدفه بمنتهى الدقة، وينفجر في قلب سيارة المقدمة بدوي هائل بلغ مداه عنان السماء، ومن شدة الانفجار طارت السيارة في الهواء لبضعة أمتار قبل أن تهوي وترتطم بقارعة الطريق بكل عنف، ثم زحفت إلى خارجه وتدحرجت على المنحدر الصخري هكذا دَوَالِيْكَ، وفي المنتهى سكنت مستقرة في قاعه السحيق، وقد أضرمت في أرجائها النيران لتتحول مع قوة الانقلاب إلى كومة من حديد!..

بعدها برزت مجموعة مسلحة من المقتنعين المدججين بالسلاح جاءوا من كل حذب وصوب كالجيش الجرار، وراحوا بعدوان غاشم يطلقون وابلاً من رصاص بنادقهم الآلية انهالوا به صوب سيارتي الترحيلات والقوة المصاحبة التي أربكها الهجوم المباغت في البداية، ولكنهم سرعان ما تمكنوا من امتصاص الصدمة ليتداركوا الموقف العصيب، مبرهنين على أنهم محترفون بحق، لذا جاء رد فعلهم بكل قوة وشراسة، وهم يبادلون المهاجمين إطلاق نيران مكثف، ليدوى صوت طلقات الرصاص الذي يصم الأذان في كل مكان، حتى تمكن أحد قناصي طاقم الحراسة من الإطاحة بحامل المدفع الصاروخي، قبل لحظة من إطلاقه للصاروخ الثاني باتجاه سيارة المؤخرة، ونجح في إصابته بطلق ناري في صدره أرداه قتيلاً من فورَه!..

وفي أعقاب ما حدث وتحت وطأة تأثير الموجة التضاغطية الناشئة مع انفجار سيارة المقدمة، اندفعت عربة الترحيلات للخلف قرابة المترين، لتختل عجلة

القيادة من بين يدي قائد العربة، وخاصة بعد أن نسفت الرصاصات إطارها الأيسر الأمامي، فأخذ يحاول عبثاً ضغط كمامة العربة بكل قوته، ومع حالة الاضطراب والانزعاج الذي اعتراه فقد قدرته على السيطرة، فمالت العربة على جانبها الأيسر، وإطاراتها تطلق صريراً مخيفاً، ومع احتكاك سطحها المعدني بأسفل الطريق تطايرت شرارات نارية مرعبة، واستمرت تزحف على هذا الوضع الخطير، حتى تركت الطريق إلى أحد جانبيه، لتجد في مواجهتها تلك الصخرة الهائلة، فاصطدمت بها بكل عنف، لتنسحق كابينة القيادة بمن فيها، تصاحبها صرخات الهلع والجزع من المسافرين في الصندوق الخلفي الكبير بالعربة، ولم يكن حال سيارة المؤخرة بأفضل من سابقتها، فبلا تروى وبحركة لأرادية كبح سائقها جماحها، وضغط على الفرامل وهو ينحرف بالسيارة إلى اليسار، ليحدث التوقف الحرج المباغت، بعدها وجد السائق رأسه ترتطم بعجلة القيادة ليفقد وعيه في الحال، ومن جراء تصاعد القصف المكثف تشرم

زجاج السيارة الأمامي برصاص تلك العصابة الإجرامية

الشرسة، ومع سيل النيران المتواصل نفذت عدة رصاصات إلى صدور ورؤوس رفاقي السائق، لتنبثق منهما دماؤهما بكل غزارة، مع صرخات الفزع من الأفواه المشدوهة، قبل أن تتجندل أجسادهم وتخدم تماماً، وبصعوبة بالغة تمكن أفراد طاقم الحراسة الباقون من القفز من السيارة قبل أن تنفجر بعنف انفجاراً هائلاً هز أرجاء المنطقة كلها، من تبعات إصابة خزان وقودها بطلق ناري من أحد المهاجمين..

وبمحصلة ما آل إليه مجرى الأحداث نجد معظم أفراد طاقم الحراسة، وقد تم إبادته عن بكرة أبيه، ولم تعد في حَوْمة الوَغْي سوى ثلة ناجية أيقنت أنها الأمل الأخير في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، فأخذت تقاتل كالأسود وهي تتبادل إطلاق النار بكل ضراوة مع العصاة المنتشرة كالجراد، وفي غمرات الحرب الناشبة التي حمى وطيسها، نجح أحد أفراد العصاة من التقدم إلى ما خلف عربة الترحيلات المقلوبة، وهو يطلق وابلاً من رصاص مدفعه الآلي القصير على المِزْلَاجِ الخارجي للبَابِ، فتحطم القفل بدوي عنيف،

ليجد عتاة المجرمين وقد فُتح لهم باب الحرية على مصراعيه، فاختلط الحابل بالنابل، وهم يتكالبون على الباب في سرعة ليتدفقوا للخارج كل سجين مع مثيله رغماً عنه، بسبب تلك الأغلال الفولاذية المكبلين بها، فارين في كل اتجاه، بهدف واحد يتلخص في النجاة من براثن السجن الذي كان ينتظرهم هناك في قنا....

ولم يكد ذلك السجين قوي البنية، حاد القسمات، ذو الرأس الأصلع، والشارب الكث، والأنف الأفطس، يقفز مع رفيقه من العربية، ويلامس بقدميه أرض المنطقة الصحراوية حتى أطلق زفرة حارة طويلة جمعت كل ما يعتمل في نفسه من توتر وقلق، وصاح كمن اعتاد إصدار الأوامر فيطاع دائماً، موجهاً هتافه الصارم إلى حامل المدفع الآلي، ذلك الشاب ضخيم الجثة قائلاً:

— «هيا بسرعة يا طلعت حطم ذلك القيد اللعين الذي أذمى معصمي».

هتف بعبارته وهو يرفع يده اليسرى عالياً، محبراً رفيقه على إتيان نفس الفعل، فأجابه طلعت بإيماءة

من رأسه، وهو يقول له في خضوع:

- « كما تأمر يا زعيم ».

قرن القول بالفعل، وهو يرفع فوهة مدفعه الآلي عالياً باتجاه الصفد المنشود، وهَمَّ بضغط الزناد، ولكن لم تسعفه اللحظة التالية، بسبب رصاصة اخترقت رأسه حاملة معها تلافيف مخه، وفي أعقابها انفجرت نافورة صغيرة من الدم الساخن، تناثرت على وجهه وصدر وَلِيٍّ نِعْمَتَه ليصبح منظره بشع ومقزز للغاية، فأخذ يمسح وجهه المكفهر من أثار الدماء بيده اليمنى، وهو يحدث رفيقه ساخطاً، وقد استشاط غضباً:

— « اللعنة يا جابر... من الواضح أن البقية الباقية من طاقم الحراسة قد بدأت بالفعل في استعادة السيطرة على زمام الأمور ».

قال قولته المحبطة، وانحني بجذعه أرضاً ملتقطاً مدفع محرره الصريع فاغر الفاه، ومشيعه بنظرة شزر، وهو يستطرد في حسم:

— « لن أقف مغلول اليد، حتى أقضي نحبي كأي كلب ضال».

ساعده بنيانه القوي على رفع المدفع بيمينه، وبلا تردد جذب الزناد لينطلق سيل الرصاصات ناسفاً إحدى الحلقات الحديدية التي تربط الصفد بالآخر، فوجد يسراه قد تحررت بالفعل، فانفرجت شفتاه عن ثناياه ضاحكاً، وتنهد في نشوة غمرت جوارحه، وجابر بجواره يُطلق صيحات ظافرة بالغبطة، وهو يهتف بجذل:

— « لقد نجحت أن تحررنا ببراعة، حقاً تستحق لقب الزعيم عن جدارة يا مختار باشا و..»..

بتر عبارته بَغْتة عندما دوت أصوات الطلقات النارية التي انهالت عليهم كالمطر، فأخذ مختار يحثه على الفرار، ووجهه يحمل ملامح اضطراب وانزعاج بالغين، وهو يهتف به في خشونة:

— «أسرع يا جابر.. نعم قد تحررنا من قيودنا، ولكن يبقى الفرار النهائي من قبضة السجن لم يكتمل بعد»

أطلق بكثافة رصاص عشوائي على المهاجمين ليحد من تقدمهم، وهو يتابع في حزم:

«هيا نتواري عن الأنظار في دروب الجبل الوعرة ونلوذ بحماها»

انطلقا يركضان بسرعة نحو الجبل، تُطاردهم رصاصات البقية الناجية من طاقم الحراسة، الذي بات وشيكاً إحكامهم السيطرة على الموقف، وحاول جابر أن يكتم بصعوبة صرخة ألم تحمل كل معاناته، فجز على أسنانه حتى كادت أن تتفتت، وهو يحاول جاهداً العدو للحاق بمختار فزفر حانقاً:

— «سحقاً لكما... لقد أصابني هؤلاء الأوباش برصاصة في فخذي، والألم فظيع لا يطاق».

هربت منه صرخة شنيعة عكست مدى عذابه، فعض على شفته السفلى، وهو يشعر بالوهن يسري في

جسده، واجتاحه توتر عنيف جعله يستطرد بنبرة
يائسة:

— « لا استطيع مقاومة آلام إصابتي.. أهرب أنت
وحدك، وأتركني لمصيري».

قطب جبين مختار لترتسم أمارات الغضب بجلاء على
قسمات وجهه الحادة، ورمقه بنظرة ازدراء قاسية،
وهو يصيح فيه بصوت خشن:

— « أَضْمَتَ يا جابر.. فأنت أحد رجالي الأوفياء، ولا
يمكن أبداً أن أهرب وأتركك وحيداً لتقنصك الشرطة».

والتقط أنفاسه بصعوبة، ثم ازدد لعبه ليرطب حلقه
الجاف، وهو يستطرد في غلظة صارمة:

— « تماسك وتحامل قليلاً على نفسك، فقد أصبحنا
على مشارف الجبل وهناك لن.....»

قطع مختار حديثه بغتة، والتفت إليه بجذعه، فوجده
يتعثر ويكبّ على وجهه أرضاً، ومن ظهره ينشأ ثقبان

صغيران أخذت دماؤه تتدفق منهما بغزارة لتمتصها رمال الصحراء بشراهة، لثانية واحدة فكر في حمله لمواصلة الهرب، ولكن الرصاص الذي اخذ ينهال باتجاههم كالسيل جعله يحنت بكلامه معه، ويعدل عن قراره، خاصة مع إصابته بتلك الرصاصة التي اخترقت كتفه كعمود من نار، ونفذت من الجهة المقابلة، والتي أطلق معها صرخة ألم فظيعة، وهو يواصل الفرار تاركاً رفيقه من خلفه يعاني آلام وفزع الموت، وأخذ يعدو بأقصى قوته باتجاه الجبل، الذي لم يعد تفصله عنه سوى بضعة خطوات محدودة، خاضها بشق الأنفس، لتبدوا وكأنها عدة كيلومترات، بسبب إجهاده الذي بلغ مداه، بعدها توقف لبرهة قصيرة يلتقط خلالها أنفاسه، قبل أن يندفع ليتسلق صخور الجبل البارزة!..

وبينما هو كذلك إذ به يلمح بطرف عينه عند بقعة منخفضة الارتفاع نسبياً مدخل كهف جبلي يكاد يتوارى عن الأنظار خلف الصخور، فذب في جسده نشاط عجيب جعله يواصل التسلق بحماس وهمة باتجاه الكهف الذي لم يكده يصل إليه، حتى شرع

بالدلو ف إلى جوفه برغم الظلام الدامس الذي يلف أرجائه، وأخذ يتحسس خطاه في ممرات متشابكة ومعقدة سار فيها على غير هدى، حتى اطمأن قلبه تماماً لنجاحه في الفرار من مطاردة قوات الأمن، عندما لم تعد تصك مسامعه أصوات الطلقات النارية، عندها فقط خارت قواه فجثا على ركبتيه يلهث ويسعل بشدة من فرط التعب والإنهاك، ووجهه يتصبب عرقاً غزيراً، وابتلع ريقه بصعوبة بالغة، ومرت الدقائق كالدهر، وهو على هذا الحال، إلى أن هدأت نفسه المضطربة قليلاً لتزكم أنفاسه رائحة كريهة خمن كونها روث جُزْدَان، حينها قرر استكشاف موقعه الجديد في ذلك الكهف المظلم الذي يستند إلى جداره، ولكن لأول وهلة انتبه إلى أن جسده لا يستند إلى جدار صخري كما هو مفترض، بل إلى جسم آخر له ملمس رخوي يختلف تماماً عن صلابة الجدار المعهودة، وجاءته الإجابة في اللحظة التالية على هيئة عواء وحشي مفزع، اخترق الظلام ونفذ إلى أذنيه مزلزلاً كيانه كله، معلناً عن ماهية ذلك الشيء اللين الذي وجد ظهره يغوص فيه لثانية واحدة، بعدها

حانت منه التّفاتة سريعة، لينتفض جسده في رعب،
وتجحّظ عيناه، وهو يحدّق مشدوهاً في إلتماع زوج
من العيون لذئب جبلي ضخم يتضوّر جوعاً، أخذ
يتفرّس ملامحه في إمعان، وقد استثاره وهيجّه الدم
الطازج التي ينزف بغزارة من جرح كتفه، وعكر صفوه
اقتحامه لوكره بلا استئذان، فاعتدل مختار منتصباً
في سرعة، وتراجع حتى التصق بجدار الكهف
الحقيقي، وامتقع وجهه حتى حاكى وجوه الموتى،
وبدا للحظة وكأن الكلمات قد احتبست في حلقه
المفعم بالذهول، قبل أن يخرج صوته مبحوحاً هاتفاً
باستنكار بالغ:

— « يَا لِلْحَظِّ التَّعَسُّ الذي أوقعني في هذه المصيبةُ
الذّاهية! ». مصمص شفّتيه ليندب نَحْسَ طَالِغُهُ، وهو
يقف مُتَسَمِّراً في مكانه لَا يَجِدُ مَهْرَباً منتظراً بين
الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى انقضاض الذئب ناشباً مخالفه القاطعة
في جسده المنهك بالآلام، وكاد يستسلم لمصيره، لولا
انتباهه إلى أنه ما يزال يحمل في يده بارقة نجاة من
تلك البليّة، متمثلة في

الخوف قد أنساه نقطة تفوق هائلة كهذه، فأسرع
يصوبه في اتجاه الذئب، وهو يضغط زناده بكل ما
تبقى له من قوة وعزيمة، ولكن جاوبته تكة معدنية
مسموعة، تشف عن نفاذ ذخيرة المدفع عن آخرها،
فتجهم وجهه واجتاحه شعور عارم باليأس والإحباط،
فصرخ غاضباً مُستهجناً:

— «تباً لك أيها السلاح الصديء البالي!».

قالها وانهارت كل معنوياته، وأقر بأنه أصبح قاب
قوسين أو أدنى من هلاك محتوم بين برائن ذلك
الوحش الضاري، الذي أغلق عليه طريق الخروج
الوحيد من الكهف، وأخذ في الاقتراب منه ببطء مثير
بعد أن حدد بغريزته القوية موقعه بدقة بالغة في
الظلام، ليحاصره في أحد أركان الكهف وعوائه
الوحشي يغلُو في قوة رهيبة، وأنيا به الحادة الطويلة
تبرز من بين فكيه منذرة بتمزيق جسده إرباً، وعلى
بعد خطوة واحدة زمجر الذئب زمجرة مخيفة كفيلة
ببث الرعب في أكثر الرجال قوة وشجاعة، تبعد لها
الدم في عروق مختار،

والذئب ينقض عليه بوثة مباشرة، تؤازره أنيابه
ومخالبه، ورفيق ثالث اسمه الموت بلا رحمة.

انفرجت أسارير وجه عالم الأثریات الشاب فارس
الجبيلي هذا الصباح مع مُطالِعتِه لزميلته الخبيرة
الجيولوجية رواء رمزي وهي تهم بعبور بوابة مبنى
هيئة المجلس الأعلى للآثار القابع في القاهرة بمنطقة
العباسية، بقوامها السميري المكسو بتنورة من التول
الوردي وقميص جينز سماوي، أسفله تي شيرت
مُزركش وحذاء رياضي أنيق، فابتدَرَهَا بالتحية ليفترَّ
ثغرها الجميل عن ابتسامة حياء خجلى، وهي ترد
تحيته في رقة، بعد أن اجتازت البوابة، وصافحت
عينها الخضراوان تقاطيعُ وَجْهِهِ المَلِيحَةِ، ثم سرعان
ما انتبهت لأمر ما عبرت عنه، وهي تنظر إليه في
دهشة بالغة وتقول :

— « فارس.. أليس من المفترض أن تكون الآن في

وتابعت متسائلة في نهم مشبوب للمعرفة:

— « فلما يا ثرى تخليت عن أجازتك هذا العام؟! ».

مسح على جانب وجهه الحلق، وهو يجيبها في لهفة
تغمر أعطافه:

— « رواء.. أريدك اليوم في أمر هام للغاية لا يحتمل
التأجيل، وستعرفين في الكازينو الذي سنذهب إليه
سويًا كل الأجوبة لاستفساراتك..... ».

قاطعته في تساؤل مغموس في نهر التعجب:

— « نذهب للكازينو!..، ولكن كما تعلم العمل يستهلك
النهار كله ».

تنهد في عمق قبل أن يقول لها بلهجة يكسوها
الحماس:

« ألم تلاحظي أنني قد خرجت للتو من الهيئة، بعد أن
استأذنت لك هذا اليوم من المدير شخصياً ».

ثم أردف بنفس ذات النبرة الحماسية، وهو يفرد
ذراعيه باتجاهها قائلاً في غبطة:

— «هلمي يا رواء، يكفيك ما انصرم هدرًا من ساعات
اليوم المحدودة».

عندها لم تجد أمامها مفر سوى أن ترضخ لرغبته،
فأومأت برأسها إيجاباً وهي تبتسم في مزيج من
الحياء والفرح، وبصوت خافت يمجج بالغنج والدلال،
راحت تترنم بمقطع من غنوة ذائغة الصيت للعندليب
الأسمر:

— «يا سيدي أمرك... ولأجل خاطرك...».

أكمل كوبليه الأغنية ثم ضحكا سوياً من قلوبهما
وغمرتاهما سعادة جمّة، وهما يستقلان سيارته الفارهة
اللاندروفر السوداء، وينطلقان إلى حيث يوجد كازينو
الطاووس، الذي كثيراً ما جمعهما على ضفة نيل
القاهرة الساحر، ولم يكد المقام يستقر بهما على إحدى

رواء أصابع كفيها البضة أمام وجهها، وهي تهتف في حيرة:

– «هأنذا يا زميلي الفاضل كلي آذان مُصغية، هيا شَفِّ مَسامِعي بحديثك العاجل».

أطلق ضحكة قصيرة مفعمة بالمرح، وهو يلوح بيده لنادل الكازينو لكي يستقدمه، وتطلع إليها قائلاً بهدوء رجل مخبرات حاذق:

– «على رسلك يا عزيزتي.. تريثي قليلاً ريثما يعود النادل بطعام الإفطار وأثناء تناوله، ثم احتساء زجاجتين من المياه الغازية المثلجة، أكون قد فرغت من إخبارك بكل ما تودين معرفته».

مطت رواء شفتيها وقالت في نبرة جادة مغتظة:

– «أخبرني بما لديك يا فارس، فالشوق نارٌ حامية تكاد تحرقني، لمعرفة سر ذلك اللقاء المفاجئ، وما عدت أطيق صبراً بعد الآن»

بدا التردد واضحاً في ملامحه لبرهة، ثم لم يلبث أن حسم قراره، وأطل التأثر من عينيه وهو يردف بلهفة لم يحاول إخفائها:

– « ببساطة قررت أن يكون برفقتي في رحلة هذا العام، نصفي الآخر الذي طال انتظاره».

في تلك اللحظة حضر النادل فراح يملي له قائمة بأصناف الطعام والشراب التي يبتغيانها ثم بعدها انصرف لكي يجلبها، فضم فارس قبضتيه ووضعهما أسفل ذقنه، وأخذ يتفرس في ملامحها بنظرة فاحصة، لتشعر وكأنه يسبر أغوارها بعينيه الثاقبتين النفاذتين، وهو يميل بجذعه نحوها، وأضاف بصوت خافت متهدج بنيران الوجد:

– « أنتِ تحديداً تعلمين جيداً عن ماهية نصفي الآخر».

قال عبارته وبعدها ران الصمت فيما بينهم، وراح يجوس بعينيه العسليتين في وجه رواء، الترابك

الأخيرة ويتضرج وجهها بحمرة الخفر، فخفضت
عينها بسرعة، وأشاحت بوجهها بعيداً من أمام نظراته
الحالمة التي خفق لها قلبها واختلج راقصاً بين
ضلوعها، وقد فهمت ما يرمي إليه ويقصده، وبرغم
ذلك لم يحرك فارس بصره عنها قيد أنملة، وانطلق
عقله يحلق في سمائها، وهو يتأملها ملياً في انبهار
كأنه يراها لأول مرة، بشعرها الكستنائي الناعم الطويل
الذي ينسدل بانسيابية على وجنتيها حتى منتصف
ظهرها كشلال من الذهب الصافي، يحيط بوجه
ملائكي مستدير ذو بشرة بيضاء مشربة بحمرة خفيفة،
تتوسطه عينان حالمتان كثيراً ما اعترته الحيرة في
تحديد لونهما على وجه الدقة، ففي الصباح يراها
خضراوين بلون أوراق الزهور الياضعة في أرواح أوقات
الربيع، وفي الظهر زرقاوين بلون أمواج البحر في
لحظة هدوءه بعد ثورة فيضانه، وفي العصر سمراوين
بألوان الطيوف الخلاب، وفي المساء يشع منهما ضياء
يهديه ويطرد عنه حيرته، عينان تؤطرهما أهداب
سوداء طويلة كمظلة تحمي جليسا من شمس أيلول
الحارقة، يعلوها حاجبان رفيعان كسيفان يلوذان عن

فارسهما من كل شر يحيق به، يحيطان بأنف دقيق
يعلو في رقة من الحاجبين ليعود هابطاً في دقة على
فم صغير ذي شفتين ورديتين مكتنزتين كثرة فراولة
طازجة من ثمار الجنة، تجاوزت موسم النضج يتوق
لراغب النعيم أن يقطفها، كانت فاتنة وباهرة الحسن
بحق في تلك اللحظة، بل للإنصاف منذ أن رآها لأول
مرة في ماضٍ ليس ببعيد، بالتحديد عندما جمعتها
كلية الآثار، ومنذ ذلك الحين بدء الحب يغزل خيوطه
الحريرية الرقيقة بين قلبيهما في عذوبة مدهشة ليس
لها مثيل، ومع مضي الأيام نمت حبهما وأثمر وأينعت
ثماره وفاح شذاها، حتى صار من المستحيل أن
يحتجب، ليصبح العاشقان اللذان تتغنى جوارحهم
بالحب وتسجد خلاياهم للعشق مسار حديث كلية
الآثار، إلا أنهم برغم ذلك كانوا دائماً ما يتحاشيان
الإفصاح بمشاعرهما صراحة، لذا ظل حبهما حب
أفلاطوني قلما يجود الزمان بمثله، حب عذري صامت
يغلفه كل احترام وتقدير من كلا الطرفين، وإن كانت
الكلمة السحرية على طرف لسان حالهما، فارسها
رواء بؤرة حياته، وكل اهتماماته تتمحور حولها..

ورواء أيضاً كذلك تحلم باليوم الذي يأتي فيه فارس بكل جراءة وإقدام ليصرح لها بحبه، وكم كانت تتمني أن تبوح له بحبها أولاً، فحقيقة الأمر أنها غارقة في حبه حتى النخاع، بل وتعشقه بكل جوارحها وكيانها، ولكنها كثيراً ما كانت تمتنع وتحجم عن الإفصاح عن إحساسها تجاهه، بسبب تقاليد وأعراف مجتمعاتنا الشرقية التي تقيد بها برفضها أن تعلن الفتاة عن مشاعرها صراحة، ففارس بالنسبة لها يجسد أقصى أحلامها ومنتهى آمالها، بأخلاقه السامية، ووسامته المفرطة، بقوامه الرياضي الممشوق المتناسق، وطابع الحسن الذي يزين منتصف جبينه، يعلوه شعر أسود فاحم مصفف للخلف بهدوء، والآن بعد تخرجهما وضمتها بناية عمل واحدة في هيئة الآثار المصرية، لا يزال الحب ينتظر لحظة الميلاد الحقيقية ليعلن عن نفسه، قادماً من فانتازيا الخيال للبزوغ عبر أرض الواقع ليرى النور و...

— « رواء... أريد مقابلة والدك لطلب الزواج منك، فما

قولك؟»

فجأة انتفض فارس من شروده، وقطع حبل الصمت بهذه العبارة، وعيناه يطل منها مزيج بديع من الرقة والحنان، ولكنه بهت مع امتقاع وجه رواء، ونظرة الذهول التي حدجته بها، وهي تنتفض من مقعدها صارخة في إرتياع:

– « كَلَّا لاااا يا فارس.....!! »

ليأتي رد فعلها بآخر شيء يمكن أن يتوقعه منها في تلك اللحظة!

أغرب رد فعل على الإطلاق!.

(2)

ذَلِكَ الْمَجْهُول!

حام شبّح الموت بقوة في سماء ذلك الكهف المظلم، وتأهب للظفر بضحية جديدة لترتسم آيات الذعر والهلع بأبشع صورها على قسّمات وجه مختار، وتسري في أوصاله رجفة عنيفة مع زمجرة أطلقها الذئب المفترس قبل أن ينقض بكل وحشية وضراوة علي جسده المثخن بالجراح، ولكن في نفس اللحظة طفت على السطح غريزة البقاء التي أودعها الخالق عز وجل في جسد كل كائن حي، وتفجرت حتى وصلت للذروة في عروق مختار، ليقرر الدفاع عن وجوده والمقاومة حتى آخر نفس يتردد في صدره، فحاول اختراق حجب الظلام بعينه وهو يتحرك بسرعة ويميل جانباً ويلقي بالمدفع الآلي الفارغ من الذخيرة في نقطة خمن انقضاظ الذئب منها، فجاءته زمجرة رهيبة كادت من شدتها أن تصم أذنيه، مع ارتطام المدفع بوجه الذئب ليصيبه مباشرة بجرح دامي ثأرت له

تأثرته، ولاسيّما مع اصطدام جسده بجدار الكهف

ليخرج خالي الوفاض، فراح يبرز أنيابه وينشب مخالبه وهو يدور في كل اتجاه بعشوائية لتلفح أنفاسه الحارة وجه مختار، وتنغرس مخالبه القاطعة في بطنه، لتنهش جزءاً من فخذه، تدفقت معها دماؤه الحارة نازفة بغزارة على أرضية الكهف ليطلق أهات الألم هادرة، وانخرط في بكاء حار مريد، وانفجر صارخاً وهو على شفا الانهيار في هوة اليأس:

– « رباه!.. من يغيث المضطر سواك؟! ».

لوح بذراعيه في الهواء، لترتطم كفه بنتوء صخري بارز من جدار الكهف، فاستند عليه لكيلا يسقط أرضاً، ويصبح فريسة سائغة لهذا الذئب، وفي تلك الأثناء كشر الذئب عن أنيابه الحادة في شراسة، وهو يعاود الكرّة بالهجوم عليه مرة أخرى، فإذا بمختار يتنحى جانباً في اللحظة الأخيرة، فوجد الذئب نفسه في مواجهة ذلك النتوء الحاد فأطلق عواءً مفزعاً والنتوء يحطم أنيابه ويخترق حلقة ليصل لأحشائه فيمزقها، ومع ثقله تحطم النتوء الصخري قبل سقوطه وأرسله

جسده بالأرض لتتفجر منه دماؤه بغزارة صانعة حول

جسده بركة من الدماء اللزجة، عندها شعر مختار
بالروح ترتد إليه، وبأنفاس مبهورة شهق شهقة قوية،
وهو يحدق مذهولاً في نفس موضع النتوء المتهشم
حيث ظهر له زر يرسل ومضات تتألق وتخبو بلون
أرجواني هادي، فسقط فكه السفلي، وهو يتمتم
مأخوذاً:

- « يا إلهي.. إن هذا لشيء عجاب! ».

مسح بساعده عرقه الراشح فوق جبهته، ثم في ترقب
حذر ضغط ذلك الزر وهو لا يدري ما الذي ستؤدي إليه
عواقب فعلته، عندها حدث ما لم يخطر بخلده أبداً في
ذلك المكان، ارتج الجدار المقابل وتحرك في جزء منه
باب صلب انفتح في هدوء مثير، وغاص جانباً في
قلب الجدار الصخري، ومن خلفه سطع ضوء مبهر
يأتي من الداخل، فغشى النور كافة أرجاء الكهف، وفي
تلك الأثناء انبعث عواء مخيف آخر قادم من خلفه،
فاستدار بسرعة لكي يتبين مصدره، فوقع بصره على

له شراً، فانعقد حاجباه الكثان ، وهو يهتف بسخط عارم:

– «لا لا لا.. لَسْتُ على استعداد لصراع آخر أيها الذئب الحقيقير».

من شدة سطوع الضوء علا عواء الذئب القادم، وهو يهجم على مختار بكل شراسة، وبلا تردد وثب الأخير عبر فتحة الباب التي تكفي بالكاد لعبوره، ومع تلك البادرة قفز الذئب خلفه بمخالبه الحادة، ليتمكن بالفعل من نشبها في ساقه قبل أن يعبر الفتحة، لتنزف قدمه مع ملامسته لهذا المكان العجيب، وهو يتدحرج أرضاً بعنف، فاستدار بسرعة وهو يطلق صرخة ألم رهيبة، فرأى الذئب يحاول جاهداً الدخول إليه من نفس الفتحة، ولكن حجمه بالغ الضخامة حال دون ذلك، فأبصر مختار فإذا به يرى نفس الزر الأرجواني النابض في داخل موقعه الجديد، وبالرغم من جروحه القطعية النازفة والآلام المبرحة التي تنتشر في شتى أنحاء جسده، أخذ يتحامل على ساقه السليمة في هذا

الموقف العصيب، فهب واقفاً وضغط في حسم على

ذلك الزر، لتنزلق الضلفة من الجدار بسرعه شديدة، من قوتها بترت رأس الذئب كالمقصلة الحادة، وهى فى طريقها للالتقاء بالجانب الآخر من الفتحة، تاركة جسده خارج المكان بدون رأسه التى سقطت متدحرجة عند قدم مختار، الذى تنفس الصعداء أخيراً، وهو غير مصدق لما لاقاه من أهوال حتى يصل فى نهاية المطاف إلى مقبرة سرية متوسطة الاتساع والارتفاع، راح يستكشفها ليرتد إلى الخلف مصعوقاً بصدمة جعلت لسانه ينعقد فى حلقه، فلم يستطع التفوه بحرف واحد، وملامح وجهه تحمل تعبيراً واحداً لما رآه فى موقعه الجديد تعبير يدعى ذروة الدهول، فخفق قلبه كما لم يخفق من قبل، وهو يحملق بعيون ملؤها الدهشة فى مصدر الضوء الساطع الذى وجدته ينبعث من كرة بيضاء أشبه ببلورة سحرية كثيراً ما رآها فى أفلام السحر الغربية، والمدهش أنها كانت فى وضع عجيب معلقة فى الهواء تتحدى قانون الجاذبية الأرضية، ومن حولها تمتلئ الجدران وتزدان برسومات ونقوش لخراطيش ملكية غريبة زائفة الألوان، كأن النحاتين قد فرغوا للتو من نقشها، تصور

مشاهد عجيبة لم يرى مثلها من قبل قط، ولكن الشيء الذي خلّب لبّه بحق كان تابوت موضوع فوق قاعدة سميقة مفرغة مَسبوكة من الفِصّة اللامعة، تحتل منتصف أرضية المقبرة أسفل كرة الضوء مباشرة، تابوت من الذهب النقي أخذ يشع ببريق مبهر خلاب تحت ضوء الكرة المضيئة بنقوشه العجيبة، يحمل غطاؤه نقش لأفعى مجنحة أسطورية علي منتصف جناحيها رسم لنفس البلورة المضيئة، فتهلّلت قسّمات وجهه بالبشرى، وهو يرسم لمستقبله القادم أحلام إمبراطورية ضخمة، بعد أن يهتبل تلك الفرصة السانحة، ويستولى على هذا الكنز الذهبي، ستغدق عليه الأموال بلا حِسَابٍ، ليرفل ويتنعم في ثراء فاحش أبدي، ويتزعم منظمه جديدة في تجارة الآثار تجعله في مصاف أغنى أثرياء الدنيا بأسرها، بهذه الكنوز الأثرية التي يتصورها أثنى حتى من مقبرة الملك الفرعوني توت عنخ آمون..

أفاق من خيالاته الوردية على حقيقة واقعه الأليم المفزع، الذي يؤكد أنه أصبح سجين محاصر ومطارد

بشراصة من قبل الأمن لإعادته إلى مستقبل مظلم خلف القضبان، وبسرعة أخذ عقله يفكر في كيفية الخروج بكنزه الثمين بعيداً عن أعين مطارديه، فذهبت السكرة وجاءت الفكرة ليهديه تفكيره أن لا مناص سوى أن يخلد إلى هذا المكان، وينتظر حتى حلول الصباح، حينها ستكون الأمور قد هدأت قليلاً، بعد رحيل رجال الشرطة عن المنطقة الجبلية بصيدهم للفارين من المسجونين دونه، لأنه في اعتقاده يلوذ بحمى المكان الوحيد الآمن في العالم كله، والذي لا يتصور كائن من كان وجوده فيه، وعندها سيصبح الطريق آمناً ليجد مخرجاً لهذا الكنز، الذي وقف يحدق فيه بجشع الدنيا كلها، خاصة ذلك التابوت الذهبي المستقر أمامه في هدوء غامض مثير..

فكر في فتحه ليرى ويحصي ما يحتويه من كنوز ثمينة تحقق آماله وتلبي رغباته، ولم تكد الفكرة تستقر في عقله حتى وضعها بالفعل موضع التنفيذ، فاقترب من التابوت في لهفة، وهَمَّ برفع غطاءه، ولكن يده تسمرت فجأة، مع حدوث تلك الظاهرة العجيبة

بتوهج كرة الضوء في شدة، وتحول ضوءها من اللون الأبيض إلى زرقة مخيفة، لترتسم ظلال سوداء مرعبة على جدران المقبرة وأرضيتها المصقولة، لتبدوا مثل بيت الأشباح بحق، فارتجفت أوصال مختار مع انعكاس الضوء القوي المباغت على وجهه، ليعتريه خوف غامض مبهم ، وهو يري الحالة الجديدة التي وصل إليها ضوء الكرة، وشعر وكأنها فهمت غرضه، لذا تغير لونها، كان من المفترض أن يثنيه ذلك عن محاولة فتح التابوت مرة أخرى، ولكن لحظه العاثر كرر المحاولة، لتأكيد فكرته عنها، وبالفعل خبأ ضوءها مع محاولته التالية ليسود الظلام الدامس كافة جوانب المقبرة، عندها انتفض مختار بذعر حقيقي، مع ذلك الفحيح الرهيب الصادر من المجهول، وفجأة عاد الضوء الأزرق أشد ألف مرة مما كان عليه في السابق، حتى كاد من شدته أن يخطف بصره، فأغمض عينيه بسرعة، ومعها عاد الفحيح يتكرر بقوة ليفتح جفنيه قليلاً حتى يتسنى له رؤية مصدره، بذلك الشيء الذي انشق له جدار المقبرة، ليبرز منه الرعب مجسم في أفعى رقشاء مجنحة يبلغ طولها متر ونصف، من نوع

الكوبرا السام، رفعت نصفها الأمامي برأسها المفلطح، وراحت تحقق فيه بعينيها الحمرأوين كالدم، وهي تخرج وتسحب لسانها المشقوق، ليحتقن لرؤيتها وجه مختار وتجحظ عيناه، وهو يرتد للخلف مصعوقاً من الفزع، والأفعى تدنو منه في سرعه خاطفة محلقة في سماء المقبرة، فأيقن لحظتها أن نهاية حياته الحافلة بالأجرام قد حانت، وأن الحظ الذي إبتسم له طويلاً لم يعد حليفه هذه المرة، ليدفع ثمن فضوله عقاباً له علي إصراره كشف المجهول ومعرفة سر التابوت الذهبي.

هائمة في دنيا الأحلام، هكذا كان حال رواء وهي تتفرّس في ملامح فارس منتظرة أن يخبرها بالسبب الحقيقي من قدومهم إلي كازينو الطاووس، أخذة في تأمل عيونه الآسرة وجبهته اللامعة بفعل الشمس، انتبهت من شرودها عند هذه النقطة تحديداً، فالمفترض أنهم يجلسون تحت مظلة واقية من حرارة الشمس الالهبة في ذلك الصيف القائن، عندها طافت في مخيلتها تساؤلات حائرة متعجبة..

كيف وصل إليه الانعكاس إذا؟!..

ولماذا يسطع في جبهته تحديداً؟!..

وكالوميض برق عقلها بالجواب بأن هناك ثمة شيء ما يتسبب في عكس حزمة الضوء على جبينه، ومع ملاحظتها الدقيقة التفتت بسرعة خاطفة، وهي تمعن البصر في الجهة المقابلة، وبمنظرة ثابتة رمقت أعلى تلك البناية المصدر الفعلي للانعكاس، لتسري في جسدها موجة عنيفة من التوتر والانفعال، وينقبض قلبها لتطلق شهقة قوية، وتنتفض واقفة في زعر حقيقي، و تصرخ بعبارتها سالفة الذكر، وهي تدفع فارس جانباً في قوة، ليميل بجسده وعلي وجهه أمارات الدهشة لذلك التصرف الغريب، ولكنه سرعان ما عرف السبب الذي جاء علي هيئة رصاصة قاتلة سمع أزيزها وهي تمرق بجوار أذنه قبل أن تستقر في مسند المقعد الذي كان يحتله في دوي مكتوم!..

فرفع رأسه ليرى مصدر الرصاصة فأبصر قنّاصاً
محترفاً يحمل بندقية صيد مزودة بمنظاراً مقرباً،

وفور رؤيته تحرك فارس بسرعة بديهة فقفز جانباً،
وتدحرج أرضاً ليتفادى رصاصة أخرى طاشت من
بندقية القاتل المتمركز في إحدى الشقق السكنية
تحت الإنشاء، وقبل أن يتلاشى دوي الرصاصة الثانية،
سادت حالة من الهرج والمرج في كافة أرجاء الكازينو
المكتظ بالرواد، لتندلع صرخات الهلع والجذع فيما
بينهم، ويعم المكان فوضى عارمة، وهم يتدافعون في
كل اتجاه، ويعدون مبتعدون بلا هدى يصطدمون
بعضهم ببعض، وفي خضم تلك الأحداث العاصفة هب
فارس واقفاً وبجراءة أخذ يحاول تدارك الموقف، وهو
يمضي خَبِياً في اتجاه موقع القناص المجهول، وبالفعل
تمكن من بلوغ المبنى في ثوانٍ معدودة، وهَمَّ بصعود
الدرج، إلا أنه توقف فجأة وكاد يسقط على وجهه
بتأثير القصور الذاتي، فانعقد حاجباه وهو يطالع في
مدخل البناية رجل في أوائل الخمسينات من عمره
يشحط في دماؤه، مذبوحاً ببشاعة كالنعاج، خمن أن
يكون حارس البناية، وقد ذبحه المجرم بكل خسة
ونذالة عندما قاومه وهو في طريقه لتنفيذ خطته

القدر، كاد يلقي ما في جوفه من فظاعة المشهد، وهو يهتف ساخطاً:

– «ما أجبنك أيها القاتل المتوحش».

تماسك فارس بصعوبة، وهو يقفز في درجات السلم عدواً، وفي أثناء صعوده حدد جيداً الطابق المنشود، كان الطابق الرابع تحديداً، وبالفعل وصل إليه مجهداً، وفي نهاية الدرج طالعته رجل عريض المنكبين، مفتول العضلات، أسمر البشرة، ذو شعر مجعد، وندبة طولية في صدغه الأيمن، من أثر جُرح غائر قديم، كان يسرع حاملاً بندقيته التلسكوبية مزمعاً الفرار، ومع النظرة الأولى استخضر فارس من أرشيف الذكريات تلك الملامح التي يعرفها جيداً.

– «مرزوق فتحي... أشهر مهربي آثار مصر».

بدهشة الدنيا هتف فارس بالعبارة، وهو يحدق في وجه غريمه، الذي رد عليه، وهو يلوح بندقيته في

مقت :

– «أجل أيها العبقري أنا ذلك الرجل الذي كنت السبب المباشر في إلقاءه خلف القضبان، وهانذا بعد هروبي من السجن، ومراقبتني لك أصل إلي فرصة سانحة، ومثاليه للتخلص منك في مكان يعج بالرواد العاشقين».

لم يبالي فارس بالسلاح المصوب نحوه، وهو يهتف بحدة :

– «ولكنك كنت تستحق ذلك القصاص العادل، بعد تمكنك من تهريب كميات ضخمة من الآثار الفرعونية خارج البلاد، وكانت قضيه الصولجان الذهبي بمثابة نهايتك، وسقوطك في قبضة العدالة».

صمت فارس لحظه يستشّف رد فعله، وهو يقترب منه في حذر مشوب بالقلق، قبل أن يردف قائلاً:

– «وكنت آنذاك أؤدي واجبي بكل أمانة، في حماية البلاد من أخطار المخربين على شاكلتك».

قدحت عينا مرزوق بالشرر وحمى أنفه، ليبدوا من
الجلي أن كل أمله حالياً ينصب في الخلاص من
فارس، وهو يصوب فوهة بندقيته باتجاهه، ويهتف
بصرامة:

- «فلتحصل إذاً على جزاء أمانتك أيها المواطن
الشريف».

طاف في مخيلة فارس المنظر البشع لجثه الحارس
الصريع، فابتلع غصة مؤلمة اختنق بها حلقه، قبل أن
يقول في ازدراء:

- «أتريد أن تبوء بإثمي، كما سفكت دماء الحارس
المسكين بلا أدنى رحمه أو ذره شفقة، وكأن قلبك قد
خلق من جلمود صخر».

جاوبته ضحكه ساخرة من مرزوق، وهو يلوح له
بسلاحه، قائلاً له في تهكم:

- «بلى سيؤول مصيرك لنفس مصير ذلك الحارس
الغبي، الذي كان حجر عثرة وعقبة في طريق وصولي

إلى هنا لتنفيذ انتقامي».

عقد مرزوق حاجبيه، وهو يستطرد بغلظة بانفعال
عنيف :

ـ «لقد ضقت ذرعاً بهذه المناقشات البوهيمية المملة
السخيفة».

انقلبت سحنه بغتة فقهقه بشماتة، وهو يحرر زر
الأمان في بندقيته متابعاً:

«هيا أتْلُ الشَّهَادَتَيْنِ، وبالأحرى تهياً لنهايتك بعد أن
جئت إليها بقدميك».

قالها بلهجة جادة تؤكد ضلوعه في عالم الجريمة، وهو
يقرن القول بالفعل، وسبابته تضغط زناد بندقيته لتأتي
إصابة الهدف في دقة محكمة، وبلا أدنى خطأ.

(3)

ظَلالُ الفَزَعِ!.

ارتعدت فرائص مختار مع إندفاع الأفعى الرقطاء
 بجناحيها المفرودين نحوه، وعلى خلاف كل توقعاته
 أقدمت الأفعى علي فعل لم يكن في حساباته على
 الإطلاق، حلقت فوق رأسه للحظة ثم تقوس جسمها
 الانسيابي المغطى بالحرشيف وانقضت بقوة على
 التابوت تحديداً، وفردت جناحيها على النقش المماثل
 لها والمحفور في غطاءه، لتصبح جزءاً لا يتجزأ منه،
 ويختفى جسدها الشعباني داخله، وتطل منه فقط
 برأسها المفلطحة، ولسانها الأسود الطويل الذي
 أخرجته لمختار يتراقص في تحدي مثير، وهي تحقق
 فيه بعينيها الحمراءوين المشقوقتين طولياً في ترقب!..

ليلتصق مختار بالجدار الأملس، وهو في قمة اندهاشه
 لموقف الحية العجيب، الذي كان بإمكانها القضاء عليه
 في ذلك المكان المنعزل عن العالم كله، ولكنها فضلت
 حماية التابوت، وكأن كل مهمتها هي الدفاع عن

التابوت من الأخطار المحيطة به فحسب، دون اللجوء إلى القتل، وانتظر مختار الخطوة التالية من الأفعى، ولكن وجد الصمت هو الملك المتوج على الأجواء، ومع التصاقه بالجدار لامست يداه سطحه ليدرك أنه ليس جداراً صخرياً كما يبدو، حتى أن قبضته ارتدت منه عندما هوى بها عليه، وكأنه جدار مطاطي، وفي ذات الوقت صلب، عندها أيقن من كل الشواهد أنه بداخل مقبرة غير عادية لشخص ذي شأن سامي، تحرس مومياءه تلك الكرة المضيئة، وهذه الكوبرا ذات النظرات المتحجرة، انتبه إلى أن الأفعى متسمة العينان بالفعل، وكان قد نمت إلي علمه أن الأفاعي بكامل أنواعها لا ترى ولا تسمع، ولكنها تتعامل بغريزة الشم والتحسس!..

لذا لم تك تلك المعلومة تبرق في ذهنه، عندها وبنزعة الشر الكامنة بداخله، قبضت يسراه على سلسلة الصفد الذي يطوق ساعده، وأخذ يتقدم على أطراف أصابعه في حذر شديد وهو يحصى خطاه، وعندما أصبح على مسافة ذراع واحد من التابوت هوى بالصفد الصلب

بكل قوة وعزيمة على رأس الأفعى مرة و ثانية وثالثه
حتى هشم رأسها تماماً، لتتدفق الدماء الزرقاء في
غزارة من رأسها المطحونة ببشاعة، لتسيل على باب
التابوت ومنه إلى أرضية المقبرة، من شدة زعره تسمر
مختار في مكانه، واتسعت عيناه حتى كادت أن تقفز
خارج محجريهما، وحملق في الدماء الزرقاء، وابتلع
ريقه بصعوبة مغمغماً في ذهول:

– «مستحيل!.. بلا شك هذه المقبرة ممسوسة بمردة
الجن والشياطين!».

واكب قوله توهج ضوء الكرة بأقصى شدته، حتى
تحول لونها إلى اللون الأحمر كالدّم، مضيفاً إلى المقبرة
سمات الرهبة والفرع، وانشق الجدار كما حدث من
قبل، ليخرج منه أفْعوان مبرقش ضخم، وبمجرد بروزه
اخرق الهواء محلقاً بجناحيه كالسهم نحو مختار، وهو
يرفع رأسه العريضة، ويكشر عن أنيابه السامة في
مقدمة فكه العلوي، فارتجف مختار من قمة رأسه
وحتى أخمص قدميه، ومن هول ما يرى، لم يستطع
التحرك من موضعه قيد أنملة، والأفْعوان يتراجع

بصدره ورأسه إلى الوراء ويتقوس وهو يصدر فحيحاً غاضباً، وفي لمح البصر نهش قمة ناصيته، ونفت سمه الزعاف في رأسه الصلعاء، قبل أن يعود أدراجه إلى مخبئه، لينتفض مختار ووجهه يحتقن بشدة، وعيناه تدوران داخل محجريهما، واكتنفه شعور بأن الدماء تندفع وتتصاعد إلى رأسه، لتضطرب عيناه بالاحمرار، وعقله يغلى بألم رهيب ارتج له كيانه كله، وحشرج حلقه حشرجات مخيفة، مع تشنجات عصبية اجتاحت كافة عضلات جسده بعنف، وسرى تحول عجيب في لون بشرته فصارت سوداء مثل الفحم، وكأن عروقه قد تبدلت دماء الحياة فيها إلى حمم ملتهبة تجري وتكويه بالآلام، وبآخر دفقة طاقة متبقية لديه ضغط الزر الأرجواني بعدها أظلمت الدنيا أمام عينيه، وسقط أرضاً كالحجر، وانتفض جسده انتفاضة الموت الأخيرة قبل أن يخمد تماماً، ويصبح جثة هامدة!..

واكب ذلك تعالي وقع أقدام تقترب حثيثاً من المكان، وما لبث أن ظهر ملازم شرطة وفي أعقابهِ مجموعة من الجنود يداهمون المكان تتقدمهم كشافات الإضاءة

القوية، ولم تكد أقدامهم تطأ أرض الكهف حتى اتسعت عيونهم عن آخرها، وسرت همهمات توتر وانزعاج فيما بينهم، بعد أن زكمت أنوفهم رائحة خبيثة فتصوروا أن المكان يعج بالجيف النتنة، على إثر مطالعتهم جسد مختار المسجى أمامهم بداخل المقبرة، وقد خلا من كل أثر للحياة، وعلى أعتابها وجدوا ذئب مفترس ينبش بمخالبه في جسد ذئب آخر مبتور الرأس، حتى أن الملازم الشاب تسمر أمام ذلك المشهد، وانعقد حاجباه في شدة، لعلمه أن الذئب لا يأكل قط لحم ذئب آخر، جاء ذلك في أبيات يحفظها عن ظهر قلب، من ديوان شعر للإمام الشافعي رحمه الله، أخذ يغمغم بها بصوت خافت، وهو يهز رأسه:

«نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا، وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بَنَا هَجَانَا

وَلَيْسَ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ ، وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَيَانَا».

حينها تصور أن الذئب يعبث فقط في جثة رفيقه، غير مصدق المصير البشع الذي صار عليه، ومع انتباه الذئب

لقدومهم التفت إليهم وأطلق عوائه المخيف، وانقض على أقرب ضحاياه، ناشباً أنيابه البارزة في ساق أحد الجنود فأدماها قبل أن يتدارك رفاقه الموقف ويمطروه برصاص مسدساتهم، ليردوه صريعاً في الحال، بعدها شد الملازم الشاب قامته في اعتداد أمام رؤوسيه، وخطى بضعة خطوات وتوقف أمام باب المقبرة وتطلع إلى جثة مختار المتفحمة، التي على وجهها انحفرت أقصى علامات الفزع والعذاب، شعر بمزيج من الضيق والامتعاض فأشاح بوجهه بعيداً في اشمئزاز، وزفر في عصبية، وهو يقلب كفيه في حيرة مستنكراً، وتمتم بقلق بالغ:

– «يا للبشاعة.. من الذي قتل هذا السجين المسكين بهذه الطريقة الوحشية؟!».

كان ضوء الكرة المبهر قد عاد لطبيعته، ليغمر المكان كله، وبدا وكأن الشمس قد أشرقت بالفعل، حتى لم تعد هناك جدوى لكشافات الجنود فأطفأوها على الفور، و الملازم يشير إليهم لإزاحة جثتي الذئبين عن طريق باب المقبرة، وعلى مضض تقدم الجنود لتنفيذ

– «ياللروعة !. مستحيل أن تكون هذه المقبرة من صنع بشر».

قالها ودلف إلى داخل المقبرة، عندها سطعت الكرة مرة أخرى وتغير لونها إلى القرمزي الداكن، وهنا وجد نفسه يتسمر في مكانه وهو يرى الجدار المقابل ينشق ليخرج منه ذات الأفغوان الرهييب، فانتفض في خوف وهو ينسحب للخلف بسرعة، وينسحب انسحاباً شديداً.

جوابه، وكاد يطلق النار على الأفغوان، لولا أنه قد

اختل توازنه ليجد كلتا قدميه وقد انزلقتا في الدماء اللزجة للذئبين، فسقط مرتطماً بالأرض في بركة الدم، واستند على أحد جانبي باب المقبرة لكي يعتدل واقفاً في نفس اللحظة التي شق الأفغوان فيها الفراغ بسرعته الخارقة، ولأول وهلة تخيل أن الأفغوان سيستهدفه حتماً بلدغته السامة، ولكنه على خلاف ظنه اتجه نحو هدف آخر ألا وهو زر باب المقبرة، وبواسطة لسانه الطويل ضغط على الزر الأرجواني، لينهض الباب من سباته وينطلق بأقصى سرعة، ليجد في طريقه ذلك الملازم صاحب الحظ العاثر الذي جلجلت صرخة العذاب الهائلة التي أطلقها، وتردد صداها طويلاً في كل ركن من أركان الكهف، والباب يسحق جسده سحقاً، ويحوّله في ثانية واحدة إلى لحم مفري لتتفجر دماؤه كشلال منهمر من الدم الساخن!..

ومن هول مرأى الجنود مصرع قائدهم بهذه الطريقة البشعة، احتبست صرخات الرعب في حناجر البعض منهم، واقشعرت أجسادهم حتى تفجرت كل ينابيع

الفرع مجسمة على صفحات وجوههم، وشعر الباقون بالغثيان يغزو أمعدتهم فتقيؤا بالفعل وافرغوا ما في جوفهم، وفي داخل المقبرة رجع الأفغوان من حيث أتى ليكمن في مخبئه بالجدار بعد إنجاز مهمته بنجاح، ليعود الصمت المطبق يحلق في سماء المقبرة مع توهج ضوء البلورة للحظة بريق أخاذ، قبل أن يهدأ ويعود إلى سيرته الأولى، ليكتنف الغموض كل شيء بلا حتى تفسير واحد لما حدث.

ضغط مرزوق الزناد وكله ثقة في إصابة فارس من هذه المسافة القريبة، وفي تلك اللحظة صك مسامعه صوت أنثوي يحمل صيحة استهجان غاضبة، فالتفت على الفور إلى مصدر الصوت، فصعق عندما جاءت الإصابة لتكون من نصيب بندقيته، التي طارت من كلتا يديه بعنف شديد، على إثر ارتطام قوي من قمطة حديدية تستخدم لتمتين السقالات الخشبية في البناء وخلافه، كانت رواء قد ألقت بها بمجرد وصولها ورؤيتها لفارس في ذلك الموقف الخطير في مواجهة

خصمه، فتراجع مرزوق بحركة حادة خطوتين للخلف لتصيبه حاله ارتباك واضحة، واعتراه غضب عارم، وهو يهتف بكلمتين مقتضبتيين:

– «عليك اللعنة».

التفت فارس ورمق رواء بنظره امتنان على إنقاذها لحياته، ثم انقض علي مرزوق بسرعة خاطفة قائلاً بحزم:

« لا تتفوه بهذه الكلمة المشينة مرة أخرى يا رجل ».

قالها وهو يهوي بقبضته علي فكه بكلمة فولاذية كالقنبلة، أودعها كل عزيمة وعنفوانه، وهو يستطرد بحزم:

– « فرسولنا الكريم نهانا عن التلفظ بها ».

تحطم صفا أسنان مرزوق الأماميان، فراح يبصق الدماء ويبعثر فتات أسنانه المكسورة من فمه، وهو يحدج فارس بنظرة كره بين ويصرخ قائلاً في مقت:

– « فليكن إذاً قتالاً بالأيدي العارية ».

قال عبارته واشتبك معه في قتال عنيف، ليصد ببراعة عن وجهه لكمة قوية سددها له فارس، ثم قبض على ساعد فارس الأيمن ودار على عقبه ليلويه خلف ظهره، ويثب مسدداً ركله قوية في ضلعه الأيسر، ارتج لها كيان فارس بألم رهيب غزا مفاصله بعنف من قوة الضربة، ومرزوق يدفعه بقبضتيه بكل عنفوانه، ليسقط على ظهره ويرتطم بالأرض، وكل عظمة في جسده تئن وتصرخ بالآلام، وغريمه يهتف به في ظفر:

– « هكذا يكون النزال وجهاً لوجه، أيها المقاتل الضعيف الذي تجراً علي مهاجمتي ».

فوجئ مرزوق بقمطة أخرى ثقيلة ترتطم بوجهه، كانت رواء قد قذفت بها، وهي تهتف بغل:

– « لا تنساني أيها المجرم، فانا لا زلت هنا ».

شجت القمطة جبهة مرزوق بحرج غائر أخذ ينزف بالدماء، فعرض شفته السفلى في غيظ، وحدث رواء

بنظرة نارية، قائلاً ببغض حارق:

- « والآن حان دورك أيتها القطه الشرسة.. سأسحقك سحقا ».

تفجر الخوف في كل خلية من خلايا جسد رواء، التي وقفت حائرة وقد أيقنت أنها تحيا موقف عصيب لا تدري ما الذي يتعين عليها فعله حياله، فارس يتألم أرضاً من جراء الضرب المبرح، وثور هائج في مواجهتها، فاستلّت قمطة أخرى أشهرتها كسلاح مثل السيف في مواجهة مرزوق الذي لم يبالي، وهو يلتقط بندقيته بخفة ويصوبها نحوها في شراسة .

- « إلا رواء أيها الحقيير ».

بصوت مبحوح هتف فارس بهذه العبارة، وهو يستنفر كل إرادته وقواه لينهض من سقطته، بعد أن رأى حبيبة قلبه في خطر يهدد حياتها، لم يكثرث بما آل إليه حاله، ولم يعد يشعر حتى بالألم الذي ينتشر في

كل شبر من جسده، كل

هدف واحد فقط، وهو الزود عن حبه الوحيد حتي
الرمق الأخير، لذا انقض علي ظهر خصمه يركله في
مؤخرته، ومن قوة الركلة جثا مرزوق علي ركبتيه ثم
انبطح على وجهه في عنف بجوار السلم الذي
تدحرجت عليه بندقيته، ولكن سرعان ما هبَّ من
سقطته يبغي الثأر لكرامته الجريحة، واستعاد توازنه
وهو ينهض واقفاً على قدميه، وقد استشاط غضباً،
لتتملكه حالة هستيرية هوجاء، فأخذ ينقض علي
فارس يكيل له الركلات في معدته واللكمات في أنفه
بطاقة هائلة، ليجد الأخير جسده يتقهقر إلي الخلف
من شدة الضربات التي من قوتها جعلته كالكرة في
قدم مرزوق، الذي إستبدَّ به الغضب بجنون، ولأن
فارس لم يعتاد تلك الصراعات القوية من قبل، لذا كان
الأمر صعباً وفوق قدرته على الاحتمال، فانزعجت
رواء بشدة، وعبث القلق السافر بأوتار مشاعرها على
نحو مخيف، وهي تراه يتراجع مترنحاً في حالة يرثى
لها، وأدركت بحدسها أن خصمه الذي يوليها ظهره لن
يتركه إلا بعد أن يجهز عليه تماماً، لذا لم تجد أمامها

سوي أن تقذفه بسلاحها بكل ما لديها من عزيمة، وكلها أمل في إصابته!..

ولكنها للأسف أخطأت هذه المرة ليتجاوز سلاحها رأس مرزوق ويصيب آخر شخص في العالم تتمني إصابته بأدنى مكروه، فارس الذي ارتطم سلاحها ب صدره، فشقت رواء وارتفع حاجبها ليس بسبب ضربتها فحسب، ولكن من غضب مرزوق الذي وصل إلي ذروة الاشتعال حتى صار يهذي كالممسوس، وهو يدور بجسده حول نفسه في سرعة مذهلة، ويدفع قدمه في بطن فارس بركلة عنيفة، وضع فيها عُصارة قوّته الغاشمة، وهو يصرخ بسادية شّعاء:

- «هذه ضربة الحسم خذها مني إلي أسفل سافلين حيث غياهب الجحيم أيها العاطفي».

اضطربت رواء وشحب وجهها بالذهول العارم، وتفجرت من حلقها صرخة رعب ملؤها الارتياح:

- «رُحماك يا سَتّار يا لطيف!..»

انتفخت أوداج مرزوق بشماتة الليث المظفر، وأطلق ضحكة مجلجلة، وهو يشاهد فارس على الرغم منه يندفع بظهره إلى الوراء، ويطير بجسده في الهواء ليخترق نافذة منخفضة في الجدار، وينطلق في الفراغ لمسافة ذراعين، قبل أن يجد نفسه يهوي من حلق إلى الأسفل بسرعة رهيبة خارج نطاق البناية السكنية.

(4)

مِنْ وَرَاءَ النُّجُومِ.

خلف النجوم الزاخر بها الكون السرمدي، وفي جانب آخر غير مجرتنا درب التبانة، يقبع كوكب صغير يسبح في فَلَكُهُ نظام ثلاثي النجوم، لم ترصده الرحلات الفضائية التي تنطلق من الأرض بين الحين والآخر، لأن هناك ملايين من السنين الضوئية التي تفصلنا عن هذا الكوكب السحيق، والذي لم يتوصل علماء الفضاء بعد إلى إمكانية للسفر إلى تلك المسافات الشاسعة من الكون لاستكشافه، هذا الكوكب يطلق عليه سكانه اسم (ساجوم).

ولو تمكنا من الوصول إليه لن يكون ذلك قبل آلاف القرون من التقدم، ولكننا سنكون هناك عبر السطور التالية لحسن الحظ، وهذا من مزايا الخيال الأدبي الذي يجتاز جميع الأبعاد ويعبر كل الحدود، تعالوا إذاً نتخطى حدود الزمان والمكان لنشاهد سماءه عن قرب، انظروا ها هي شموسه الثلاثة التي يتمتع بها ساطعة،

وبخاصة النجم الأضخم المتوهج بشدة، والذي يدور في مدار قريب جداً من الكوكب، ويحتل جزءاً كبيراً من السماء يزيد أربعين مرة بعرضه عما تبدو عليه شمسنا في يوم صافٍ، وسيظهر النجمان الثنائيان أصغر بكثير لأن مدارهما بعيد، وأقل لمعاناً من النجمة الرئيسية، لذا لا يزيد ضوءهما عن ضوء القمر البدر، كما سيبدوان -كأنهما يتبادلان العناق في رقصة مدارية أبدية حول بعضهما بعضاً، ليحيلوا سطح قارته الوحيدة ذات الشكل المخروطي إلى أتون مشتعل، لا تخف درجة حرارته إلا عند تناوب الليل والنهار، لذا صدقت توقعاتكم بشأن الحياة المستحيلة على سطح هذا الكوكب، لذلك لم نر مخلوق حي واحد على سطحه المقفر، ولكن في باطن الكوكب الوضع مختلف، حيث الحياة أو بمعنى أدق حيث كانت الحياة، وهذه الأطلال التي تطالعنا تؤكد أن ذلك الكوكب بلغ شأواً مذهلاً بحضارة متقدمة في كافة صنوف التكنولوجيا العلمية الحديثة..

ولكن ما الذي حدث حتى تحولت قارته الهائلة إلى ذلك الحطام الشنيع والخراب الفظيع، تعالوا نستطلع تاريخ ذلك الكوكب من البداية..

فمنذ قديم الزمان كان سكان القارة يعيشون متكيفين مع العوامل البيئية الحارة على السطح، مخلوقات تتشابه مع البشر من الناحيتين الفسيولوجية والتشريحية، غير أن رؤوسهم أصغر مما ينبغي وصلعاء تماماً، كذلك عيونهم واسعة ودائرية بلون قرمزي قاني مكونة من كتلة واحدة بلا قزحية، وليست مسحوبة كعيون البشر، وذات أهداب وحواجب كثيفة لوقايتهم من الإضاءة الشديدة، ويناhezون المترين طولاً، وأكثر ما يميزهم أنهم يتطابقون تماماً في الشكل الخارجي، مثل شعوب شمال شرق آسيا، وأعجب ما فيهم عروقهم التي يجرى فيها سائل تتشابه خواصه مع الدم البشري ولكن لونه أزرق داكن!..

تقدمهم المذهل لم يستطيعوا التصدي لتلك الظاهرة
الرهيبه، حاولوا جاهدين إخراجهم عن مساره، أو حتى
تفجيرهم في الفضاء قبل سقوطه على سطح كوكبهم،
ولكن مع ضخامة حجمه، وتفاعله النشط مع حرارة
شموسهم، جانبهم النجاح في نسفه، وأصابهم الفشل
الذريع، مع اختراق النيزك غلافهم الجوي، وارتطامه
المريع بسطح الكوكب، وكانت فاجعة بشعة بحق راح
ضحيتها ثلثا سكان الكوكب، وظل الثلث الآخر يعاني
من الآثار الناجمة عن النيزك، الذي اكتشفوا فيما بعد
أنه يحمل إشعاعات مضره لأجسادهم، ما لبث معظمهم
أن تساقط كالذباب واحداً تلو الآخر من جراء النيزك
السام!..

وآنئذ كان لازماً عليهم إيجاد ملجأ يحتمون فيه، عندها
تفتقت في أذهانهم تلك الفكرة الجهنمية، ألا وهى نقل
الأحياء منهم إلى بيئة جديدة وحياة أخرى، ولكن هذه
المره في باطن كوكب ساجوم، وبواسطة ما تبقى
لديهم من أجهزه متطورة وإمكانيات محدوده،
استخدموها في الحفر ليتمكنوا بالفعل من بناء مدينة

في الأعماق، وابتكروا زي خاص فضي شفاف ارتدوه جميعا بلا استثناء حتى أصبح جزءًا لا يتجزأ من أجسادهم يقيهم آثار الأشعة الناجمة عن النيزك، وجعلهم يتعايشون في انسجام مع وضعهم الحالي، ولكن رغم الاستقرار والتقدم ظل هناك أمر هام يؤرق الجميع، هذا لأن طبيعة الحياة على سطح الكوكب تختلف عن باطنه، لذا فالذين نزحوا في البداية إلى مدينة الأعماق كانوا أصحاب بشرة داكنة، ومع مرور الوقت صارت الأجيال القادمة بشرتها فاتحة، فعاني السود من الاضطهاد أمام البيض، لتنشأ تلك القضية الخطيرة التي يحلو لنا تسميتها على كوكب الأرض بقضية التفرقة العنصرية، ولكن هناك كانت تفرقة عنصرية بين النوبلز والهاكرا وبالرغم من أنهم في الأصل جنس واحد، إلا أن طبيعة المكان أوجدت ذلك الاختلاف الجوهري بينهما!..

فصارت العظمة والسيادة لثُبة القوم من فصيلة النوبلز، ليسيطر وحده على كل مقاليد الأمور في مدينة الأعماق، التي استفادت حتى من شمس

كوكبها استفادة مثلى، لتصل بالمدينة السفلية إلى ذروه التقدم المذهل في كافة صور العلوم، فقامت حضارة رائعة غاية في الرقى، وأصبحت فصيلة الهاكرا جاهلة متخلفة لا تتعدى كونها خادمة خاضعة مستأنسة، لا تملك سوى الطاعة العمياء، وباتت مهمتهما الوحيدة توفير الراحة والسعادة للسلالة النوبلز، ونظراً لتداعي الأمور كان طبيعياً أن يشعر الهاكرا بغضب مكبوت باستمرار على وضعهم المهين المزري الذي يحيون فيه، فانتفضوا ذات يوم وسعوا لشن ثورة على النوبلز حتى يحدث التغيير الذي يأملونه وتحسن أحوالهم إلى الأفضل، لذا تكونت بينهم في الخفاء مجموعة ثورية ما لبثت أن تضخمت وانتشرت كالنار في الهشيم، فقاموا بثورة عارمة على نظام النوبلز الحاكم المستبد، الذي تفشى فيه مع مرور الوقت وباء الفساد والظلم إلى أقصى حد، وفي ظل نجاح ثورة الهاكرا جاءت نهاية النوبلز مع الدمار والخراب الرهيب الذي أطاح بكافة صور التقدم، وكل ما له علاقة في استعباد الهاكرا لقرون طويلة قبل ما له على كوكب ساجوم عصر مظلم بدا بلا نهاية، بعد

استيلاء الهاكرا على كل شيء في المدينة ليحيلوها
كما هو الحال على السطح إلى أطلال قديمة
مهجورة!...

وهناك في أسفل حطام ذلك المبنى المتهدم الذي كان
يوماً ما سر تقدم مدينة الأعماق، والذي كانت تنجز
فيه كافة الاختراعات الحديثة، دعونا نطالع ذلك النفق
الخفي العميق الذي يبعد كيلومتر عن سطح المدينة
لنشاهد عن كثب ذلك المقر السري الذي يَبْدُو في
قاعته الكبيرة، فيلق من صناديد رجال المقاومة
مختارين بعناية ودقة فائقة، لمحاولة إعادة الأمور إلى
نصابها الصحيح، يقف قبالتهم رجل قوي الشَّكِيمة كان
يعد في الماضي أحد قادة أمن الكوكب، هدفه ينصب
في عودة أمجاد النوبلز من جديد، ولكن بالحق والعدل
والمساواة بينهم وبين الهاكرا في الحقوق والواجبات،
ومن هنا بدء يعد العدة ويضع الخطة لملاقاتهم على
السطح، ولكن فجأة انطلقت أجهزة الإنذار بأزيز حاد
دوى في كافة أرجاء المخبأ، وعلى الفور بدر في أذهان
الجميع دفعة واحدة أنها محاولة لاقتحام مكمنهم من

قبل جحافل الهاكرا، فتحفزوا بقلوب انقبضت خوفاً
من نجاح عدوهم في إجهاض المقاومة في مهدها.

لَوْح فارس بذراعيه في الهواء في محاولة قَانطة
بائسة لكي تتشبث روحه بنسائم الدنيا، وهو يهوي من
الطابق الرابع، وبمجرد أن دار جسده دورة رأسية،
حتى عادت الحياة مره أخرى لتدب في روحه
المسلوبة، وفارقه إحساسه باليأس والإخباط مع
مطالعتة لشريان الحياة، وهو يقترب منه ليعانقه في
عشق وهيام، وانتبه حينها إلى أن المبنى السكني يطل
على ضفة نهر النيل، ولذا لم يعد أمامه سوى التعامل
مع السقوط السريع بحكمة، حتى لا يؤدي الارتطام
الخطأ بمياه النيل إلى بقر بطنه، وعندئذ تكون
العواقب وخيمة، ويحدث ما لا يحمد عقباه، لذا انثنى
بجسده انثناءً مرنة وأحنى رأسه وهو يميل إلى
الأمام، ثم فرد ذراعيه على اتساعهما، وتلقى الماء
المنعش في بساطة بأن غاص بجسده فيه لعدة أمتار
وبيعض المجهود ضرب الماء بذراعيه لكي يصعد

مندفعاً إلى السطح، بعدها سارع بعض المتطوعين بانتشاله من النيل، لتزوغ عيناه وصدره يعلو ويهبط في انفعال، فحاول جاهداً ألا يفقد وعيه، وهو يردد بصوت خفيض مبحوح:

- « زميلتي في خطر مع مجرم متوحش، سينتقم منها حتماً، أرجوكم امنعوه من إيذائها بأي وسيء.....».

بتر عبارته بغتة مع شعوره بدوار عنيف يكتنف عقله، لتتهاوى رأسه على صدره، ويسقط مغشياً عليه من جراء المجهود الكبير الذي بذله في صراعه الدامي مع خصمه، الذي واجه رواء بمفردها لتنهار كل معنوياتها، وتجهش ب بكاء حار مرير في هستيريا على ما أصاب فارس، هاتفة بصوت متقطع، والألم يعتصر قلبها اعتصاراً:

- « أيها الخسيس لقد قتلته بدم بارد! ».

مسح مرزوق الدماء التي غمرت وجهه، وهو يقول في تهكم:

- « هيا أيتها المتحذقة، تعال لنلهو سوياً! ».

عندها ضحك بجذل على إثر ظنونه السوداوية بأنه أحكم السيطرة على مقاليد الأمور بعد أن انفرد بها وأصبح ثالثهما الشيطان، ولكن خاب حذسه سريعاً مع رد فعل رواء في تلك الظروف العصيبة، وقرارها بأن تتماسك وهي تنفض عن كاهلها مشاعر الحزن والألم، فتبدلت ملامح وجهها الثاكلة إلى أخرى يكسوها قناع من الصرامة، وهتفت في صوت أرادته حازماً، ولكنه خذلها وخرج متلعثماً بعض الشيء:

- « هيهات أيها العرييد الآثم، لن أكون لقمة سائغة! ».

قفزت فجأة فوق الدرج باتجاه سطح المبنى وهي تستطرد بحزم:

- « ولن تنالني إلا وأنا جثة هامدة! ».

تعجب من قولها، وهو الذي كان يتصورها ستستسلم له دون مقاومة تذكر، ولكنه تماالك نفسه، ووثب برؤية

يصعد خلفها بخطوات هادئة نسبياً، وهو يقول بخبت ممزوج بالشر:

– « فليكن إما أن تلقي بنفسك من السطح لتنضمي لرفيقك في عداد الأموات، أو تنتظري لتلقفك أحضاني الدافئة! ».

قال عبارته وقهقهه ضاحكاً من قوله لتأكده أنه صار قاب قوسين أو أدنى من النيل منها، وفي أعلى سطح الطابق السادس رآها هناك لا تدرى فعلياً إلى أين تفر، فهتف ساخراً وهو يلوح لها بيده في الهواء:

– « هنا نهاية المطاف أيتها العنيدة، فإما الانتحار الزؤام، أو الاستسلام التام! ».

بوجه شاحب ممتقع كوجوه الموتى نبشت رواء أرجاء السطح ببصرها تبحث عن أي شيء تدافع به عن نفسها، فلم تجد سوى سطح نظيف خالي منشأ حديثاً، حتى أنه لا يوجد في أطرافه سياج يمنع المرء من السقوط، فتقهقرت بقلب

فَاهَهُ الكريهة، هو يلحق بشرة وجهها الناعمة بتلذذ،
ويقرب لسانه من فيها ليلحس بشهوة قطرات الدماء
المُنْسَابَةُ، حتى شعرت بلفحة أنفاسه الحارة تلهب
مقلتيها المحمرتين المغرورقين بالدموع الساخنة،
.....9

-«استسلم يا رجل وأترك السيدة وشأنها وإلا أطلقنا
عليك النار!».

بوجيز العبارة وبصوت جهوري صدع هتاف قائد إحدى
فرق قوات التدخل السريع، فالتفت مرزوق بجذعه
نحو مصدر الصوت، وتدلي فكه السفلي ليبدو كالأبله
مع اصطدم نظراته البلهاء بفوهات عديدة لبنادق آلية
ومسدسات مصوبة باتجاهه، فتمالك رباط جأشه
بسرعة، وأطلق ضحكة عصبية ساخرة، وهو يهتف
مستهزئاً:

-« أهلاً بالأشاوس، لما تأخرتم طيلة هذا الوقت؟! ».

جاوب قوله الهزلي نظرات تشي بالصرامة من قبل رجال الأمن، وأعلاهم رتبة يقول له بغلظة رادعة:

-«كفى استِظْرَافُ أيها السَّمَج، ولا داعي لإضاعة الوقت في مهاترات فارغة».

ثم أردف وهو يلوح له بمسدسه قائلاً في حزم:

-«هيا أذعن للأمر ونفذ تعليماتي، والا ستندم أشد الندم!».

نهض مرزوق وهو يطوق بذراعه اليسرى عنق رواء التي كانت تنتحب وبحرقة، وجعلها في مواجهة رجال الأمن، ثم استل من طيات ثيابه مِذْيَةً لامعة ذات نصل ماض أشهَرَهَا أمام وجهها، ثم مسح بها على صدغها، قبل أن يضع نصلها فوق صدرها، وبغطرسة غمر لهجته بالتهديد هاتفاً:

-«ألا ترى أنني مسيطر على كل مقاليد الأمور أيها الضابط المغوار، وبإمكاني في ثانية واحدة أن أغمد

مديتي الحادة في قلب السيدة الجميلة لينتهي أمرها
على الفور!».

ارتجف جسد رواء كريشة في مهب الريح، وعضت
شفتيها السفلى في أسى، والعبرات تنحدر على
وجنتيها، فأخذت تسمحها بكفها وهي تقول:

-«هذا المجرم سادي ومجنون، ويده ملطخة بالدماء،
لذا لن يتوانى عن تنفيذ تهديده، وقتلي بلا شفقة».

شعرت بغصة ألم تموج في حلقها، وهي تردف بمرارة:
-«كما فعل مع زميلي بإلقائه خارج المبنى بوحشية!».

بابتسامه هادئة أجابها رجل الأمن بنبرة واثقة:

-«اطمئني يا سيدتي لقد نجا رفيقك من بين براثن
الموت بأعجوبة!».

أطلقت رواء تنهيدة ارتياح غامرة، وتألفت عيناها مع
تسلل السرور فوق محياها الجميل بعد أن رَقَّاسَها
تساءلت بلهفة:

-«أحقاً ما تقول!...، كيف حدث ذلك؟!».

بكلمات مقتضبة أخذ يقصُّ عليها ما حدث ملوحاً بيده أثناء الشرح، وهو ينظر بطرف خفي لأحد جنوده، مغزاه أن يتحرك بهدوء حذر لتطويق مرزوق، الذي اختلجت عضلات وجهه المتوترة، مع سماعه تلك الأنباء المخيبة لآماله، فقطع استرسال رجل الأمن في الحديث، وهو يهتف في ضيق، بلهجة تكاد تميز من الغيظ:

-«إذاً فقد نجا بسقوطه في النيل، هذا الرجل محظوظ بحق!».

بدا وكأن خبر نجاة فارس قد أحبط معنويات مرزوق وجعلها في الحضيض، فحاول أن يكظم غيظه لتلين تكشيرته بعض الشيء، وهو يرفع المذبة عن صدر رواء ويضعها في جيب بنطاله الخلفي مستطرداً:

-«وبما أنني أخفقت في تحقيق هدفي الرئيسي، لذا لم

قوته، وأسنانه تصتك ببعضهما في مقت ساحق، فدوى
الانفجار المحدود، ليتمزق الجسد البشري، ويتحول في
غمضة عين إلى أشلاء متناثرة!.

(5)

قُنْبُلَةٌ بَشَرِيَّة!

قطع الزعيم الساجومي حديثه المتواصل، واستدار على عقبه ليتجه بنظره صوب لوحة ضوئية مجسمة تطوف في فراغ القاعة تمثل خريطة فلكية، تجسد نموذج للكون بمجراته وأجرامه السماوية من نجوم وأقمار وكواكب، وأشار إليها وسبابته تتجه تحديداً إلى كوكب صغير جداً وهو يهتف بحزم:

- «هدفنا كوكب كيلت لا بد من الوصول إليه على وجه السرعة يا صفوة مقاتلي النوبلز».

قالها بلغة عجيبة تبدو وكأنها ترانيم كالهمس بلا أية نبرات، ميزتها أفئدة رّجال المقاومة كأوضح ما يكون، بعدها أخذ يسرح في ملكوت ذكرياته البعيدة، عندما قام الهاكرا بثورة شاملة على كل الأوضاع في مدينتهم المتطورة، فمع الغضب المكبوت في الصدور والذي

كانوا سبباً مباشراً فيه

العبيد، جاءت الانتفاضة الساحقة، كعنقاء تنهض من الرماد بعد سبات طويل، فدمروا كل مظاهر تقدمهم الذي جاهدوا في بنائه لقرون طويلة، كل ماضيهم انسحق تحت وطأة أقدام الهاكرا الذين اقتلعوا الأخضر واليابس، حتى مستقبلهم لم تعد له ملامح معروفة بعد أن حولوا مدينتهم العريقة الشامخة التي كانوا يستوطنونها إلى أطلال مهجورة، لتصبح مرادفاً للخراب والدمار، ولكنه كقائد حُرٍّ أبى الاستسلام، فمن بين الدمار الرهيب الذي يحوم فوق حاضرهم نبتت بذرة المقاومة فتبناها شخصياً كأحد الشرفاء الأنقياء الذين حاربوا في الماضي الفساد والطغيان في أرجاء مملكتهم العظيمة..

والآن ها هو ذا يحارب الهاكرا مع من تبقى من نُخبة النوبلز المخلصين، وبينما تحين لحظة الحسم التي طال انتظارها، لحظة الحرب الشاملة ضد العدو، وأسفل أطلال المدينة المنكوبة، ومع تنظيم الصفوف لم يتبقى سوى أن يطلق إشارة البدء، تلك التي كان يستعد فعلياً لإطلاقها منذ لحظات قليلة، ولكن فاجأته

تلك الإشارة الأخرى، لتنبئه أن كوكب كيلت أصبح يشكل خطراً داهماً على مستقبل ساجوم، عندها كان لزاماً عليه اتخاذ قرار حاسم في هذا الشأن، ولأنه يريد ذلك بأقصى سرعه ممكنه عندها اتجه ببصره إلى ناقوس ذو تصميم بيضاوي من الكريستال الشفاف يقبع أمامه في مهابة، يماثل ارتفاعه طابقين كاملين، يرتكز على وسادة هوائية ترفعه عن الأرض، فاستدار بجسده إلى رجال المقاومة، وهو يقول كلمتين مقتضبتيين:

-«الناقوس الآتي».

هتف أحد أفراد المقاومة مستنكراً:

-«ولكن يا زعيمنا المفدّي راوتر الناقوس لم يخضع قط لتجربة عملية من قبل».

عض راوتر شفته السفلى هاتفاً في حسم:

-«الناقوس هو أملنا الوحيد الآن للوصول إلى كوكب كيلت بسرعة».

واستطرد وهو يلوح بيده ويقول في اكرات:

-«كما تعلمون لقد قمنا باختراع الناقوس الآني، كوسيلة سريعة تمكننا من اختراق حاجز الزمكان في طرفة عين».

صمت برهة يلتقط فيها أنفاسه، وهو يضيف قائلاً في حسرة وأسى:

-«والأسفاه لأننا فعلياً لم نقم بتجربته بعد، ولكن ها هي لحظة اختباره قد حانت، لكي نرسل مقاتل في مهمة محدودة مع كل ما يحتاجه من أسلحة ممكنة لتلبية نداء الاستغاثة الذي وصلنا للتو من كيلت، وللأسف الشديد لا يوجد أمامنا بديل آخر سوى استخدامهم، خاصة بعد دمار حضارتنا وافتقارنا لتكنولوجيا الانتقال الفضائي».

قال مقاتل آخر في دهشة:

-«يا فخامة القائد لكي ينطلق الناقوس سنحتاج حتماً لطاقة الفوتون التي لا تتوافر سوى في معاملنا

البلوتونية السرية».

عقد راوتر حاجبيه في تفكير عميق ثم رفع إبهامه للأعلى، وقال في صرامة:

-«إذاً لم يعد هناك مفر من المواجهة على السطح».

زفر بحرارة ثم لوح بيده، وهو يردف في حماس بلهجة أمرة:

-«هيا أيها المغاوير استنفروا كل رجال المقاومة في مخابئهم، بإعلان حالة التأهب القصوى للمعركة الفاصلة التي سنشنها على الهاكرا مع انبلاج فجر الغد».

وكان لقوله الفصل في وصولهم لمرحلة اللاعودة، وإيذاناً بإطلاق العد التنازلي للحرب الضروس التي من المزمع أن يشهدها مطلع فجر اليوم التالي.

انطلقت رصاصات رجال الأمن تدوي خلف مرزوق المزهو بنصره، وهو يطلق ضحكة شامتة جلجلت في

الأثير، ولكن لعنف المفاجأة وعدم إحكام التصويب جيداً طاشت كلها في الهواء، مع حدوث الانفجار المدمر الذي أطاح بجسد مرزوق ذاته في مشهد شديد البشاعة، لتنهمر أشلاؤه الممزقة كالسيل فوق مياه النيل، فتسمر رجال الأمن في أماكنهم غير مصدقين ما تراه أعينهم، ومن بينهم رواء المنهارة التي راحت ترتجف، وهى تجهش بالبكاء المرير لمعاناتها، وتغمغم من وسط دموعها:

-«لقد شعرت به وهو يلصق القنبلة بملابسي، فنزعته بسرعة ودون أن يشعر وضعتها في جيب سرواله، ليلقى نفس المصير الذي كان يريد لي».

ربت رجل الأمن على كتفها وهو يبتسم لها ابتسامة مشجعة قائلاً بنبرة مشفقة:

-« قدر الله ولطف يا سيدتي ».

عاونها على هبوط سلالم المبنى، وهو يستطرد قائلاً:

-«بالرغم من كل ما عانيتي من أهوال، إلا أن الله عز وجل كان رحيماً بك، وألهمك السبيل للنجاة من الانفجار الساحق الذي مني به ذلك المجرم الآثم، لينال الجزاء الذي يستحقه، فمن حفر حفرة لأخيه أوقعه الله فيها، هذه عدالة السماء الحقّة».

مست تلك الكلمات الإيمانية شغاف قلب رواء فهدأت من روعها، وهي تتمتم في خشوع:

-«ونعم بالله المنتقم الجبار، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

توقفت قدماها وبدأت وكأنها تذكرت أمراً هاماً فاستدركت قائلة في تساؤل حائر:

-«ولكن ألا تعلم أين ذهب فارس الآن بعد كل ما أصابه؟!».

أجابها رجل الأمن في بساطة:

- « لقد تم نقله على وجه السرعة إلى المشفى لإسعافه من إصاباته ».

تطوع لإيصالها حيث يوجد فارس، وبالفعل استقلوا سوياً سيارته وخلال دقائق قليلة كانوا هناك، ولم تكد رواء تبصر إحدى الممرضات، وهي خارجة من حجرته بالمشفى، حتى هتفت بها في مزيج من اللفظة والجزع :

- « يا تري ما أخبار حالة فارس الآن ؟! ».

لمحت الممرضة التوتر يقفز من عينيها فبادلتها بابتسامة هادئة محاولة بث الطمأنينة في قلبها، وتنهدت وهي تجيبها قائلة في بساطة:

- « اطمئني لقد تم عمل الإسعافات اللازمة للكدمات والسحجات والجروح السطحية الطفيفة التي تكبدها، ويمكنه بعد ساعة واحدة فحسب أن يغادر المشفى، بعد عمل الأشعة المقطعية اللازمة على جسده لزيادة الاطمئنان عليه ».

قالت عبارتها وانصرفت لمتابعة الحالات الأخرى، فتجاوزتها رواء ودلفت إلى حجرة فارس، وافتر ثغرها عن بسمه شاحبة، وأطلقت زفرة حارة ثم هتفت بصوت متهدج:

- «حمداً لله على سلامتك يا فارس».

في تلك الأثناء كان فارس يولي ظهره للباب، على وشك الانتهاء من استبدال رداء المرضى السماوي بملابس جديدة، فاستدار على الفور إلى مصدر الصوت، وتهللت أساريره وهو يهتف في سعادة غامرة:

- «والاعزيزتي رواء لقد تَضَرَّعت لله كثيراً أن ينجيك، وأحمد الله على أنه استجاب لدعائي وأعادك سالمة».

رمقت رواء رجل الأمن بنظرة عِزْفَانٍ بِالْجَمِيلِ وقالت في إنفعال يحمل رنة إمتنان:

- «الفضل لله ثم لسيادة الضابط المقدام، الذي وصل في الوقت المناسب ليخلصني من قبضه هذا السفاح الشرير».

انتبه فارس لوجود الضابط برفقتها فمد له يده،
وصافحه في حرارة بابتسامة عريضة، وقال وهو يشد
على يديه:

-« يشرفني لقاءك يا سيدي، وحقيقة توسّمت فيك
الخير»

ابتسم الضابط بدوره وقال في لهجة مفعمة بالثقة
تليق برجل أمن مخضرم:

-« أهلاً بك»

بدا التأثير على قسمات وجه رواء وهي تستعيد ذكرى
الأحداث الأليمة، وقالت في اكرات:

-« لا يمكنك أن تتصور ما آل إليه مصير ذلك المجرم يا
فارس» نظر لها مستفسراً فراحت تقص عليه ما كان
بعد خروجه الإجباري من الأحداث، ليطل التأثير من
عينيه، ولما فرغت من سرد روايتها، ربت على كتفها
في مودة وهو يهتف بها في لهجة مشفقة:

- «لقد عانيت بالفعل يا عزيزتي، ولذا كم أنا شاكِر
فَظُل سيادة الضابط الذي لم أتشرف بمعرفة إسمه
بعد».

هز رجل الأمن رأسه بالنفي، وأشار بيده إلى صدره،
وهو يجيبه في بساطة:

- «العفو.. لا شكر على واجب مَنوط بي تأديته يا
أستاذ فارس».

ثم باعتداد شد من قامته، واستطرد مضيفاً في رصانة:
- «وبالمناسبة اسمي سيف.. الرائد سيف رأفت».

تقول النبوءة أن هذا اللقاء كان بمثابة مقدمة تعارف
فريق جديد، سيحمل لهم الغد القريب مغامرة
ستجمعهم سوياً مع آخرين، مغامرة نحن بصدها الآن.

في ردهة قصره المنيف كان سلمان وهدان الأشيب
الرأس الممتلئ الجسم إمبراطور مافيا تهريب الآثار

في الوجه القبلي كله، يجلس على مائدة طعام متخمة بما لذ وطاب من أصناف اللحوم الدسمة وأفخر أنواع الشراب، وأخذ يشمر أكمام جلبابه الأبيض ليَهْزِر قطع اللحم هبّراً دون مراعاة لآداب الضيافة والذوق العام عندما غَضَّ الطَّرْفَ مترفعاً عن دعوة مرافقه لمشاركته الأكل، ذلك الشاب الأسمر النحيل فارغ الطول، ذو الوجه الشاحب الذي كان يقف ديدبان في نهاية الطاولة يفرك كفيه في توتر وارتباك، مصغياً السمع إلى حديثه الذي تخلل مَضْغَهُ لَطَّعَامَهُ قائلاً بنبرة يعتربها الضَّجَرُ:

-«هيا يا وهبة أوجز كلامك وأخبرني عن سبب طلبك مقابلي بلا إطناب».

سال لعاب وهبة مع لفحة رائحة الطعام الشهي لأنفاسه، فحاول كبّح جماح رغبة الجوع الملحة، وهو يَوْمئِ برأسه قائلاً بحنق:

-«أعلم ضيق وقتك يا سيدي، ولكن الأمر الذي سأخبر به جنابك جد خطير».

التقط نفساً طويلاً زفره بحرارة طارداً معه كل ما
يعتمل في كوامنه من شهوة، ومن أغوار تلافيف عقله
استرجع ذكريات الماضي القريب ثم تنحنح وأضاف
متلعثماً :

- «بواسطة قصاصو الأثر طاردنا بعض المساجين
الفارين أثناء ترحيلهم لنعثر على أحدهم قتيلاً بداخل
مقبرة أثرية عجيبة لم أرى مثيلاً لها في حياتي ،
تحتوي تابوتاً من الذهب الخالص، يلتمع تحت ضوء
كرة مبهرة من البلّور النقي في حجم كرة سلة ».

لأوّل وهلة بدا لوهبة أن كبير مهربي الآثار لم يعيره
انتباهه، ولكن سرعان ما اتضح أنه كان مخطئ، مع
إنحشار الطعام في حلق سلمان، الذي أسرع بتناول
كأس صب فيها بعضاً من الخمر، وألقاها في جوفه
جرعة واحدة، ليحتقن وجهه ويسعل بعنف، قبل أن
تلتمع عيناه ببريق الجشع، ويرتفع حاجباه في دهشة،
وهو يصيح بانفعال جارف:

- «هل عثرتم حقاً على مقبرة أثرية بهذا الوصف المذهل؟!».

بعينين مفعمتان بالتوجس تحاشى وهبة نظرات سلمان، وقال بصوت مبحوح:

- «لك كل الحق يا باشا في عدم تصديق كلامي، أنا شخصياً لو أخبرني أحد بهذا لوصمته بالكذب، ولكني رأيت المقبرة رأي العين في جبل أبو حاد»

قرر سلمان أن يحنو عليه نظير ذلك الخبر السار، فأشار إليه لمشاركته الطعام فانقض وهبة على الطاولة وجلس يأكل بنهم شديد وهو يهز رأسه مغمغماً من بين فتات الطعام المندفع من فمه الممتلئ:

- «ولكن هناك ثمة أمر مقلق عكر صفو روعة المقبرة»

صمت برهة إزدرد خلالها لعبابه، قبل أن يستحثه سلمان على مواصلة الحديث فتابع متمتماً في تردّد:

- « بِسْمِ أَفْعَوَان رَهيب قتل قائد فرقة المطاردة بكل بشاعة... ».

على خلاف وقع الخبر المؤسف ابتهج سلمان وتوقف عن تناول طعامه وبرقت عيناه بالدهاء، وصاح يقاطعه في لهفة:

- « لو كان الأمر كما تصف، فهذه المقبرة تحوي كنوز ذهبية لا تقدر بثمن، حتى تحرسها الأفاعي بكل هذه الشراسة ».

نهض سلمان من أمام طاولة الطعام الفخمة، وقدم إلى علبة ذهبية التقط منها لفافة سيجار كوبي فاخر فض غلافه بتمعن وأشعله ليلتقط منه نفساً عميقاً، وأخذ بِنَزْجِسِيَّة طاغية ينفث الدخان ببطء في الهواء، وهو يجلس مسترخياً على أضخم مقعد وثير في البهؤ الفسيح، ثم شمخ بأنفه، واستطرد بطمع منقطع النظير:

- « ولا بد أن أستحوذ على كل خيراتها بأي ثمن كان ».

غمز وهبة بإحدى عينيه بخبت، وهو يلتقط إحدى الكؤوس الفارغة ودَهَقَ الكأس دَهَقاً بالخمير، وراح يشرب بشبق، وجسده يرتعش بتلذذ، قبل أن يتجشأ، ثم يقول له بنبرة تزلف:

-« هي لك يا سلمان بَكِّ، فمن سواك يقدر قيمة الكنوز الأثرية حق تقدير».

توقف وهبة عن احتساء الشراب، وظهرت بوادر الانزعاج على وجهه، فضاقت حدقتاه ليتصافح حاجباه، مع تذكره أمراً هاماً، فأردف في ارتباك شديد:

-« أنصحك باغتنام الفرصة والإسراع، فقد أخبرني أحد المسؤولين في إدارة المباحث أنهم في طريقهم لاستقدام رجال هيئة الآثار لتحديد أهمية هذا الكشف الأثري».

وضع سلمان سيجاره في المنفضة الكريستالية، ثم ضرب راحتيه ببعضهما، وهو ينادي أحد رجاله، ولم

انحناءة في احترام وتوقير بالغين، قائلاً له في لهجة خاشعة:

- «أمرك ورهن إشارتك يا زعيم».

تخلى سلمان عن مقعده الفخيم، وهو يجيبه في لهجة بالغة الصرامة:

- «هيا يا مرعي جهز العتاد والرجال، لننطلق في عجلة إلى مهمة محددة حيث جبل أبو حاد».

قال عبارته ثم انصرف مرعي خاضعاً دون مناقشة لتنفيذ الأمر، فأخرج سلمان مسدسه من جرابه، وتأكد من أنه محشو بالرصاص قائلاً لوهبة في خشونة:

- «لو ثبت صدق كلامك ستنال مكافأة سخية لم تخطر حتى في أسعد أحلامك، تكفيك للتمتع ببذخ طيلة عمرك كله».

تحرك باتجاه وهبة الذي انتشى بالطمع، وهو يفرك كفيه ليمني نفسه بالعيش الرغيد، ولكن سرعان ما

عبَسَ وجهه، حينما حدّجه سلمان بابتسامة شيطانية مخيفة تتجمد لها الدماء في العروق، وجذب مشط المسدس وتركه يرتد في عنف مصدراً رنيناً معدنياً مميزاً، ثم ألصق فوهته الباردة بجبهته، وهو يستطرد بغلظة:

-«أما إن كانت روايتك كاذبة فسيكون جزاؤك رصاصة حقيرة بثمن بخس تستقر في رأسك».

عند هذا الحد وبالرغم من ثقة وهبة المطلقة فيما رواه، إلا أن انقلاب سحنة سلمان، جعل قشعريرة باردة كالثلج تسري في أوصاله، وقلبه يختلج قبل أن يهوي بين ضلوعه من فرط ذعره.

(6)

إِسْتِدْعَاء مُفَاجِئٌ!.

انطلق فارس بسيارته في سرعة غير معهودة بالنسبة
لرواء التي مطت شفيتها في ضيق، وهتفت به في قلق
مشوب بالاستياء:

-«رويدك يا فارس الدنيا لن تطير، وخاصة أنك لم
تتماثل للشفاء بعد».

أشرق وجهه بابتسامة تفيض عذوبة وحنان دافق،
ومال عليها هامساً في حبور:

-«الآن أنا أسعد شخص في الدنيا، ونحن في طريقنا
لكي أتحدث مع والدك بشأن الارتباط بك».

زوت ما بين عينيها في استياء، وهي تقول مستنكرة:

-«ولكنك بهذه السرعة تعجل بانتقالنا لعالم الموتى».

زاد من ضغط قدمه على دواسة الوقود على نحو تصاعدي، لتضاعف سيارته من سرعة التهامها للطريق، وهو يُناور المَزَكَبَات المجاورة مثل أبرع متسابق مُحَكَّك في مضمار رالي السيارات، وابتسامته الواثقة تشيع على وجهه القسيم، قائلاً بلهجة الحاذق الواثق:

-« حتى الموت لا أهابه يا ملهمتي، طالما سنكون سوياً».

تصاعدت حدة أصوات السائقين بعبارات الإستهجان والاستنكار من تجاوزه الحد الأقصى للسرعة المقررة، وهم يطلقون أبواق السيارات عالياً، وفي تلك الأثناء انبعث رنين مميز من هاتف رواء الجوال فأخرجته من حقيبتها، ورمقت اسم المتصل وهي تغغم بدهشة:

-«السيد وزير الآثار شخصياً».

شحذت عبارتها كل حواس فارس، وهو يستمع إلى الاسم، وأيقن أن الأمر بالغ الأهمية ذلك الذي يتصل الوزير من أجله، وسمع

تقطيبه تعجب ممزوجة بعلامات الحيرة، وهي تقول
بخفوت:

-«فارس الجبيلي.. نعم يا سيادة الوزير أنا برفقته..
حاضر سأعطيه الهاتف حالياً».

مدت له يدها بالهاتف فالتقطه، وهو يجيب الوزير على
الفور:

-«صباح الخير يا معالي الوزير، هل من خدمة أؤديها
لسيادتك».

قال له الوزير في لهفه :

-«أين أنت يا رجل؟!.. لقد حاولت الاتصال بك مراراً
ولكن دون جدوى، فهااتفك خارج نطاق الخدمة».

هدأ فارس من سرعة سيارته نسبياً، وزفر وهو يقول :

-«للأسف هاتفي سقط في النيل بعد حادث طارئ».

-«حمداً لله على سلامتك».

أجابه فارس في امتنان:

-«الله يسلمك من كل سوء يا فندم».

بجدية خاطبه الوزير قائلاً:

-«هيا أنفض عن كاهلك ما حدث، لأنني أريدك في أمر هام للغاية».

كاد فارس أن يتمزّع حنقاً، وهو يقول بتبرم:

-«حاضر يا سيدي.. سأتوجه إلى مكتب معاليك على الفور»

قالها والطرف الآخر يغلق الهاتف، ليتكدر وجهه وهو يدير عجلة القيادة لينحرف بسيارته إلى الاتجاه المعاكس، وحاول أن يكظم غيظه وهو يقول لرواء:

-«عذراً عزيزتي فنداء الواجب ينادي، لذا فأنا مضطر

لتأجيل لقائي بوالدك إلى وقت لاحق».

لم تعلق رواء ببنت شفة، واكتفت بأن هزت رأسها علامة على تفهمها الموقف، وما لبث أن أسفر لقاؤهما بوزير الآثار عن تكليف فارس بقيادة فريق خاص من أبرع الأثريين، للوقوف على أهمية ذلك الكشف الأثري الجديد، وفي اليوم التالي حلفت بهم حوامة عمودية، واتجهت صوب صعيد مصر، تحمل على أحد جانبيها شعار المجلس الأعلى للآثار المصرية، التابع لوزارة الدولة لشؤون الآثار، وهي تضم كوكبة من خيرة رجال الهيئة على رأسهم فارس الجبيلي عالم الأثريات، وزميلته رواء رمزي الخبرة الجيولوجية، برفقة الدكتور زاهر فواز المتخصص في علم المصريات، والثَّابِغُ في فك طلاسم النصوص الهيروغليفية إلى اللغة العربية، وأيضاً الأستاذ قدي قاسم المتخصص في تاريخ الشعوب، والرائد سيف رأفت الذي انضم إليهم بناءً عن إيعاز وترشيح فارس له، بعد رغبة الوزير في إرسال أحد ضباط الشرطة لتأمين سلامتهم، فكان له ما أراد، وهو يتصورها مجرد رحلة استكشافيه خاضها مراراً من قبل..

فأخذ يتجاذب أطراف الحديث مع رفاقه في وُدّ، أثناء
تحليق الحوامة إلى بغيتهم، ثم قطع كلامه بغتة بعدما
استرعي انتباهه سيف الجالس بجواره، والذي كان في
تلك الأثناء شارد الذهن، فأخذ يهزه برفق مندهشاً من
الصمت الذي غرق في مستنقعه بكل حواسه، فقال له
متسائلاً بفضول:

-«أين ذهبت يا سيف؟!.. فأنت منذ دلوّك للمروحية
لم تتفوه بكلمة واحدة!..».

انتفض سيف مذعوراً كمن لسعه عقرب سام، وهو
يفيق من شروده، وحاول رسم ابتسامة مرحة على
وجهه، ولكنها خذلتة وخرجت على الرغم منه شاحبة،
وهو يجيبه قائلاً:

-«هأنذا.. ولكني كنت أفكر فيما ينتظرنا».

قال له فارس وهو يقلب كفيه متصنعاً الحيرة :

-«وما الذي نحن مقبلون عليه في ظنك؟!»

ثم أردف وهو يجيب استفساره السابق:

-«سوى مقبرة تحوي من الآثار الذهبية ما يضاهي كنوز قارون الأسطورية حسبما أخبرني الوزير».

لم يعقب سيف على قوله، بينما طفت على شفتيه شبح ابتسامة تموج بالغموض، سرعان ما وأدها، وربت على مسدسه في جرابه المعلق تحت إبطه، يلتمس منه الطمأنينة والدعم، واسترسل في أفكاره مسترجعاً كلمات قائده الصارمة الذي يبلغه فيها:

« أنه يكلفه بمهمة جسيمة، يحفها الموت من كل جانب، مهمة تعد من أخطر المهام التي يمكن أن يواجهها في حياته العملية على الإطلاق »

لذلك فهو وحده يعرف ماذا ينتظرهم هناك حيث الخوف المجهول لأقصى مدى، ولهذا السبب ارتأت القيادة المشتركة لوزارتي الداخلية والآثار التغاضي عن إخبار فريق الآثار بالمواجهات الدامية التي حدثت

داخل المقبرة، لعدم تثبيط همهم وإحباط معنوياتهم، وتركهم يكتشفون هذا بأنفسهم..

قطع سيل أفكاره هدير الحوامة الكبيرة التي كانت تنهياً للهبوط فوق وادٍ صخري متاخم للجبل، وبمجرد هبوطها ثارت سحب الغبار والرمال بعنف صانعة حولها فيما يشبه الدوامة جعلت الرؤية تنعدم إلى حد كبير، وبمجرد استقرارها في مكانها ومع الانخفاض التدريجي لهدير سرعة دوران مروحتها العلوية هدأ تطاير الغبار، وبدأت الرؤية واضحة، فأخذ أفراد الفريق يحملون أمتعتهم ومعداتهم، ويغادرون الحوامة إلى حيث أرض الوادي الفسيح، وكان في استقبالهم رقيب شرطة كان قد عاصر الأحداث الدموية في المقبرة، تقدمهم وسار كدليل بالنسبة لهم، فاتبعوا خطاه حتى وصلوا لمشارف الجبل وهناك راحوا يتسلقونه باستخدام رافعات حديثة متطورة، ومع وصولهم لمدخل الكهف توقفوا يلتقطون أنفاسهم ويجففون عرقهم من جراء التعب والإرهاق الشديد، بعدها واصلوا المسيرة داخل

المتشابكة حتى توقف الرقيب في النهاية في اعتداد
عسكري صارم وأشار إلى جدار المقبرة، وهو يقول
للرائد سيف في انفعال شديد:

-«هذه هي المقبرة المنشودة يا فندم».

لوح له سيف بيسراه ويده اليمنى تحمل مصباح
ضوئي متوهج سلطه على الشق الفاصل وجسده
يقشعر من فظاعة مشهد اللحم البشري المفري الذي
يلفظ من الجدار، فهز رأسه قائلاً في لهجة حازمة أمرة
:

-«حسناً يمكنك الانصراف الآن».

لم يكد الرقيب يسمع تلك العبارة حتى هز رأسه في
امتنال، وازدرد لعبه بصعوبة وحاول جاهداً أن يتمالك
نفسه ليخرج صوته متزنًا، ولكن خرج متحشرجاً لشدة
اضطرابه:

-«أمرك يا فندم..، ولكن أتمنى من سيادتك أن تأخذ كل

أعرض عنه سيف بوجهه، ليتحاشى سهام نظراته النارية، وتنهّد قبل أن يجيبه بهدوء:

-« هذا ما كنت أفكر فيه أثناء الرحلة إلى هنا يا فارس، هذه المقبرة تحوى بحق تابوتاً ذهبياً، ولكن عليه حماية ضارية من الأفاعي التي تزود عنه ضد الدخلاء، ولأن هذا الأمر قد يثنيكم عن إتمام الكشف الأثري لذا فضلت القيادة عدم إخباركم به ».

تبرم فارس وشعر بأن في صدره مرّجلاً يغلي، وصاح في غضب أعمى:

-« كان الأولى إخبارنا بالحقيقة منذ البداية، وترك الخيار لنا بالموافقة على قبول المهمة من عدمها، حتى يتسنى لنا التأهب نفسياً على الأقل ، ولا نفاجأ بهذا المشهد البشع ».

حاول سيف أن يهدئ من غضب وانفعال فارس، فصمت بزهات وحاول أن يقابل سخطه بالجلّم ببسمة خفيفة، وهو يجيبه قائلاً في رصانة:

- « كانت القيادة عندها حسن نوايا من جعل الأمر سرّاً، حتى لا ترهبوا ذلك الموقف ولا يعتریکم الخوف من المكان قبل القدوم إليه».

هز رأسه علامة التّهمكّم، وهو يهتف فيه حانقاً:

- « حسبك جدال عقيم يا صديقي، فالطريق إلى الجحيم مفروش دائماً بالنوايا الطيبة».

أرادت رواء أن توصل باب هذه المناقشة حامية الوطيس، فغيرت دفة الحوار بقولها المفعم بالوجل:

- « المكان موحش ومخيف بحق يا رفاق، ورائحه الدم تزكم أنفي بشدة».

أوما الأستاذ قدری برأسه مؤيداً قولها، وتنهد في عمق قائلاً بجذع:

- « معك حق يا رواء، فالمكان معبق برائحة الموت، وأنا شخصياً أرتجف هلعاً من مجرد تصور ما ينتظرنا

اقترب زميلهما الدكتور زاهر بخطوات متتدة من باب المقبرة، وتألقت عيناه، وهو يقول بمنطق أفحم الجميع:

- « ربما كان المكان مخيفاً كما تقولون، ولكن الفضول العلمي الشره لمعرفة فحوى المقبرة لا يقاوم».

نظر إليهم فارس، وهو يقول في حزم:

- « القول الفصل الآن لكم يا رفاق، هل تريدون المضي قدماً في اقتحام المقبرة وكشف سرها؟!..، أم ننسحب ويكفى ما ترونه أمامكم لتعرفوا ماذا ينتظرنا خلف الجدار المغلق؟!».

سادت جنبات الكهف سكون مهيب، وخيم الصمت على أجواء المكان، وهم يحدقون في وجوه بعضهم البعض ويتبادلون نظرات مفعمة بالتوتر لدقيقة كاملة لم ينبس خلالها أحدهم ببنت شفة، ولم يحركون ساكناً، وعقولهم تدور في سرعة طاحونة هولندية لا تكلّ،

وهم يفكرون ما بين الاستمرار أو التراجع، بعدها قطعت رواء حبل الصمت وهي تتنهد قائلة :

-« وجهة نظري المتواضعة أن واجبنا يحتم علينا مواصلة البحث، حتى نكشف خبايا وطلاسم هذه المقبرة، وليكن ما يكون».

كان هذا بمثابة إيدان لانطلاق الآراء بالموافقة على اقتحام المجهول، عندها تنفس فارس الصعداء، وهو يومئ برأسه مؤكداً قولها، وقال بنبرة ارتياح حاسمة:

-« فليكن يا رفاق الآن على بركة الله تبدأ مهمتنا ».

ابتلعت رواء ريقها، وهي تقترب من باب المقبرة بخطوات متأنية، وقالت في استغراب:

-«ولكن هذا الباب لا يحمل على الإطلاق أي نقوش تدل على أنه باب مقبرة أثرية».

بنظرة خبير تفرس الدكتور زاهر بامعان في ثنايا الباب، وحك خصلات ذقنه المجعدة في حيرة، وتنهد

بحرارة ثم قال:

-«هذا أمر شديد الغرابة ومثير للحيرة بحق، فلأول مرة أجد مقبرة أثرية في مكان لا يصلح أبداً لوضعها فيه».

عدّل قدرتي من وضع منظاره الطبي فوق قصبة أنفه، وهو يقول في دهشة بالغة :

-« هذا الأمر صحيح تماماً، فتلك المقبرة المزعومة توجد في منطقة نائية ومنعزلة، حتى أنها تبعد عن كل جبال العصور الفرعونية، فالمصريون القدماء كما هو معروف عنهم، كانوا يصممون مقابر ملوكهم وساداتهم في باطن الأرض وعلى سفوح الجبال، ولكن هذا الكهف من الواضح أنه غير مؤهل لحفر دهاليز مقبرة فرعونية بداخله».

وضعت رواء حقيبتها عن ظهرها، ثم فتحتها لتلتقط منها بعض أدواتها، وبواسطة مبضع متين حاد كشطت قطعة صغيرة من باب المقبرة، وقطعة أخرى مماثلة

-«بالطبع فمن واقع نتيجة الفحص ثبت أن مادة الباب لا تحمل نفس المكونات الطبيعية للكهف».

أَخَذَتْهُ الْوَهْلَةُ فَبَدَا عَلَيْهِ الشُّرُودُ لَهْنِيهَةً، بَعْدَهَا انْتَفَاضٌ وَابْتَهَلٌ لِلَّهِ أَنْ يَخْطِئَ حَذْسَهُ، فَتَسَاءَلَ فِي انْزِعَاجٍ:

-«وماذا يعني هذا من واقع خبرتك؟!».

التقطت شهيقاً عميقاً زفرته وأشارت بسبابتها نحو باب المقبرة وهي تجيبه بانفعال بشوبه التوتر:

-« باختصار هذا الباب تكوين صناعي دخيل، لا يمت بصلة إلى الكهف الصخري ».

جَلَجَلَ تصريحها الأخير في الأذهان كأنها ألقت بأصابع ديناميت انفجرت وسط الجميع، فارتجفوا لهول المعلومة، وداهمهم صمت القبور الرهيب، قبل أن يبدده الدكتور زاهر المستند براحة يده على الباب قائلاً بصوت مرتجف:

- « هل تعنين أن هذه المقبرة المزعومة، قد شُيّدت بواسطة مجهولين لهدف خفي لا يعرف سره بعد».

هزت رأسها علامة الإيجاب، وفي تلك الأثناء لاحت من فارس التفاتة فوق بصره على نقطة تومض وتختفي بضوء بنفسجي باهت فاقترب منها ليجدها مغطاة ببقعة كبيرة من الدم المتجلط، فهتف متسائلاً بمنتهى الدهشة:

- « عجباً.. ما هذه البقعة المضيئة؟! ».

قال عبارته وبحركة لا شعورية مسح سطحها وهو يتوخى الحذر، عندها انشق الجدار المقابل، لتنزلق من بين جانبي الفتحة الأشياء المسحوقة، كاشفة من خلفها عن مقبرة الرعب والغموض الرهيبة بكامل تفاصيلها المدهشة، لتضع رواء كفها على فمها، وهي تشهق في انبهار من أثر رؤيتها للتابوت الذهبي الذي يتلأأ مثل عنقود من النجوم اللامعة أسفل كرة الضياء، وارتبك قدرى وهو يتراجع للخلف بحركة حادة ممسكاً بإطار نظارته، وخفق قلب سيف في أنفعال

وهو يطالع روعة الكنوز الأسطورية المهيبة التي لم تخطر على باله، بالرغم من أن قائده أخبره بما سيراه، ولكن الرؤية تختلف عن الكلام، فمن رأى ليس أبداً كمن سمع، أما فارس فقد انعقد حاجباه بشدة، وشهق مفزوعاً، وهو يحدق في الجدار المقابل الذي انشق في نفس اللحظة التي انفرج فيها باب المقبرة كاشفاً عن ذلك الأفعوان المجنح القاتل، الذي يحمل الموت بين فكيه، وهو يتأهب للطيران باتجاه أقرب شخص إليه ذلك المدعو زاهر، الذي رآه متسماً على عتبة المقبرة من شدة الذهول، وعيناه تتسعان في زعر، فانتفض فارس وهو يصرخ بفيه مفعور في لهجة مَرَوَّعة:

-« احترس يا زاهر! ».

ضاع تحذيره سدى مع صوت تحليق جناحي الأفعوان الرهيب الذي اندفع للأمام يشق فراغ المقبرة نحو ضحيته، وهو يفتح فكيه البشعيين عن آخرهما، لتبرز أنيابه السامة في فكه العلوي، وأخرج لسانه الرفيع

المزدوج في مقدمته، ولم يتبقى سوى أن ينبت السام

الزعاف في جسد زاهر ليذهق روحه في الحال.

(7)

نَصَرَ بَطَّعُمُ الهَزِيمَةَ!

بدوي صارخ انبعث نفير حرب التحرير الشاملة في كل
مخابئ رجال المقاومة تحت سطح كوكب ساجوم،
لتهب جموع النوبلز الذين كانوا في حالة ترقب
واستعداد لتلك المعركة الفاصلة في تاريخهم،
فاندفعت الفرق المسلحة في تنظيم دقيق إلى سطح
المدينة كالإعصار المدمر بكل ما تبقى لديها من أسلحة
متقدمة، لتستقبلهم جحافل الهاكرا المتحفزة لهذا
الهجوم الكاسح..

وبالرغم من المباغته التي قام بها حشود النوبلز على
مركز قيادة الهاكرا في قلب الأطلال البدائية التي
كانت يوماً ما قصر إمبراطورهم الراحل، إلا أن الصراع
كان على أشده، وفي منتهى الشراسة بين كلا الطرفين،
فاضطربت الحرب في أوارها حتى سالت الدماء
الزرقاء كالأنهار الجارية، فالنوبلز كان يضم آخر مقاتليه
البواسل، والأمل يحدوهم في غد مشرق يأتي بالمجد

المفقود، تحت ظل حكم يقيم العدل ويبسط الحق، لذلك كان يقاتل باستماتة لاسترجاع الأرض المسلوبة بفسادهم واستهتارهم، تقابلهم وحشيه وضراوة من الهاكرا الذي كان غايتهم كسر شوكة النوبلز، واستئصال شَأْفَتَهُمْ حتى لا يبقى منهم أحد، هؤلاء الذين أذاقوهم ألوان العذاب في الماضي، وكان أكثر ما أدهش الهاكرا بعد تصورهم أنهم قد أفنوا كل صور تقدم النوبلز، تلك الأسلحة المتطورة التي كانت مخفية عن أنظارهم طيلة السنين المنصرمة، وتم استخدامها في الهجوم المنظم على مقر قيادتهم، وبتكنيك منسق لم يألفوه في قتالهم العشوائي!..

لذا كان الصراع على أشده، فحمى وطيس المعركة، وبعد قتال عنيف استمر لساعات طويلة باتت الغلبة من نصيب النوبلز، لتميل الكفة إليهم في النهاية، ويتمكنوا من تحقيق انتصار ساحق بكل المقاييس، وبعد السيطرة الكاملة على مقر قيادة الهاكرا، وإسقاط زعيمهم المَثَغَطْرِش مورلاك أسيراً، قاموا على الفور بتَنكِيس عَلمَهم الأسود ذو اليد الهائلة بقبضتها

المخيفة، ورفعوا رايتهم البيضاء خفاقة تلك التي تحمل يدين متشابكتين، العليا قوية معاونة، والسفلى ضعيفة واهنة في إشارة رمزية للتكافل بين جميع أطراف الشعب مستقبلاً..

وهناك خلف الجدران السميكة المنيعة المزودة بعوازل للصوت، وفي داخل أروقة معمل البلوتون السرى، انهمك الجميع في العمل ليدور على قدم وساق، استعداداً لتهيئة الناقوس الآتي، وتجهيزه بوضعه بعناية فائقة في نقطة تماس، تمهيداً لانطلاقه إلى ذلك الهدف المحدد مسبقاً على كوكب كيلت، ولم يكد العلماء يقومون فعلاً بضبطه وتوصيله بكابل الطاقة، لكي يستقبل دقات الفوتون، حتى شرعوا في بدء تجربته..

وبالفعل تقدم بالدلوف للداخل بشجاعة واعتداد أحد المقاتلين المتطوعين لتنفيذ المهمة مرتدياً خوذة شفافة لامعة، ورداء مميز فضي اللون مكون من قطعة واحدة، واقي من الطاقة المدمرة التي من المبتدئين

تغمر الناقوس، وكان يبدو عليه عدم المبالاة بعواقب

ما ستحمله تلك القفزة الآتية من مخاطر، وكما تدرب على القيادة من قبل، اتجه نحو المقدمة وحرك راحة يده على جزء منها، فبرز على إثر حركته فوق الأرضية المعدنية اللامعة مربع متوسط الحجم متشح بالسواد، يشبه جهاز إسقاط بروجكتور تولدت منه شاشة هولوغرامية ثلاثية الأبعاد ذات لون أزرق باهت، ظهرت على سطح الواجهة الشفافة، مرر أصابعه عليها فظهرت رموزاً غريبة متحركة أخذت تتراص حتى ملأت الشاشة كلها، فأخذ يمسح عليها في تتابع مدروس ومع كل مسحة يتوقف صف من الرموز ثم يختفي واحداً تلو الآخر في تعاقب منتظم، وبين الحين والآخر كان يتابع عن كثب ما يحدث من تطورات خارج وداخل الناقوس، من خلال شاشة رصد خاصة ثابتة أمامه، ومع توقف صف الرموز الأخير ومن ثم اختفاؤه، أعلن جهاز التشغيل عن بدء العمل بأزيز حاد متصل، وعلا هدير آلة توليد الطاقة، فهتف المقاتل بلغته العجيبة التي لا مثيل لها في الكون، بحماس منقطع النظير:

- «والآن هيا يا طاقه الفوتون، أنا على أتم الاستعداد
لقدومك».

قال عبارته وهو ينظر في اتجاه شاشه الرصد التي
تركزت على أسطوانة الفوتون الضخمة، منتظراً بين
الفينة والأخرى انهيار دفقات الطاقة الصافية، لترسله
إلى حيث كوكب كيلى، وبالفعل تدفقت الطاقة ولكن
بكميات ضئيلة للغاية، ليظل الوضع كما هو عليه،
وينبعث ذلك الصوت المعدني الرتيب حاملاً إشارة
ميزها جيداً مُفادها أن منسوب الطاقة لا يكفي لإتمام
الرحلة الزمنية، ليأتي وقع الفشل كالصاعقة المدمرة،
فران الصمت المطبق على رءوس الأشهاد، معلناً أن
النصر الساحق الذي جنوا ثماره كان يحمل في طياته
مذاقاً مريراً تجرعوا كأسه حتى الثمالة، ليعتريهم
إحساس موحد بالهزيمة الماحقة.

على الفور استوعب الرائد سيف خطورة الموقف،
فكان أول من تحرك ليثبت بجداره أنه رجل آمن قوي

الشكيمة لا يشق له غبار، فبسرعة البرق استلّ مسدسه من غمده، ودون أدنى تردد قفز ببراعة وخُنكة منحياً زاهر جانباً بيسراه، وبيمينه رفع فوهة مسدسه نحو الأفعوان، واطلق رصاصتين متعاقبتين على رأسه قبل لحظة واحدة من بثه السم القاتل، فنجح في إصابته مباشرة في فمه المفتوح برصاصة مرقت منه، واخترقت أخرى رأسه لتتناثر دماؤه الزرقاء في المكان وهو يهوى أرضاً قتيلاً، ليلجم الجميع ثوب الذهول، فلم يحرك أحدهم ساكناً، واستمروا على هذا الوضع حتى شق فارس رداء الجمود، وساعد زاهر على النهوض ثم أخذ يجيل النظر فيما حوله، لترتسم الدّهشة بجلاء على قسّمات وجهه وهو يغمغم:

-«من الواضح أننا أمام مقبرة غير تقليدية يا رفاق، تحمل لنا الموت منذ اللحظة الأولى».

ضاقت حدقتاه لتبدوا في عينيه أماراتُ الحيرة تتقهقر بالانسحاب، وهو يتابع في تصميم:

- « ولكننا بالرغم مما حدث قد قبلنا التحدي، وبكل عزيمة وإصرار سنسبر أغوارها لنكشف طلاسمها وكل خباياها بعون الله ».

حاولت رواء أن تبدو متماسكة، ولكن صوتها خذلها فخرج خافتاً من شدة جذعها:

- « هي بداية فعلاً لا تبشر بالخير، وينتابني الخوف الغريزي مما هو قادم ».

قال فارس في ثقة وثبات رجل مؤمن كيّس فطن:

- « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ».

عندها حسم سيف الموقف، فتقدم نحو مدخل المقبرة ، ودخلها في بساطة، ثم أخذ يحثهم على اتباعه قائلاً في حماس:

- « هيا يا فلذة أكباد مصر، تقدموا بالدلوف لا تهابوا شيئاً ».

طائرة ووسائل مواصلات عصرية، وأيضاً دمار كاسح لكل مظاهر تقدم هذا الكوكب..

أريدّ وجه الدكتور زاهر وتغيّر لونه وهو يتمتع في هذه التفاصيل الدقيقة، ويقول بنبرة يعترّيها القلق:

- « هذه الصور العجيبة لا تمثل أي حقبة أرضية، كذلك الأحجار الكريمة لم تستخدم من قبل في رسوم الحوائط بالفُسَيْفَسَاء، ذلك الفن الذي ولد في العصر الفرعوني بأحجار ملونة، كانوا يحصلون عليها من أعماق الجبال مثل جبال سانت كاترين والمقطم، واستمر حتى وصل أوج ازدهاره في عهد كليوباترا إلي أن دخل الرومان مصر وشاهدوا هذه الجداريات، فأخذوا الفنانين المصريين المهرة والأحجار ونقلوها لبلادهم، ومن هنا انتقل فن الفسيفساء إلي الغرب وما زالت بعض الجدران الأثرية المصنوعة بأيادي وحجارة مصرية موجودة حتى الآن بروما وتعتبر مزاراً سياحياً فريداً! ».

عبث قذري بأنامله فوق الرسومات، ليتسنى له التأكد من أنها ليست وهماً بصرياً خادعاً، وتحري الدقة قبل أن يقول في ثقة: -« بالفعل لم يذكر التاريخ أن الأحجار النفيسة قد استعملت في لوحات الفسيفساء على الجدران بهذه الكمية الضخمة، بل كانت بنسب ضئيلة في اللوحات الزجاجية، وتعتبر لوحة أوراها الموجودة بالعراق، والتي تعود للحضارة الآشورية، أقدم لوحة فسيفساء أثرية في العالم، وصنعت من الزجاج المرصع برقائق الذهب و الياقوت والزمرد، ومن أشهر اللوحات في مصر لوحة نفرتيتي بمطار أسوان، المطعممة بالأحجار الطبيعية الملونة التي تصل إلي عشرة ألوان، حيث تم تصميمها مؤخراً بطريقة تجعل اللوحة تنظر إلى الناظرين إليها من جهة اليمين، وكذلك تنظر إليهم أيضاً من جهة اليسار، الأمر الذي أثار دهشة السائحين ونال إعجابهم، حتى صارت عنها أحاديث في العديد من دول العالم، وكتبت عنها مراراً الصحف الأجنبية!».

قطب فارس بين عينيه، وعقد ساعديه أمام صدره، وهو يفكر ملياً في ذلك الأمر:

-«أؤيدكم القول، وإن كانت هناك تساؤلات عديدة يلتهب بها مخي وتطرح نفسها بقوة الآن، وتحتاج إلى أجوبة وافية شافية».

صمت لحظة ازدرد خلالها لعبه، وبدأت على ملامحه أمارات التفكير العميق، ثم تساءل مردفاً في حيرة حقيقية:

-«لماذا يا ترى جلبت لنا تلك الحضارة الفضائية هذه المقبرة العجيبة؟!...والأهم هل هي حضارة غابرة مندثرة؟!..أم لا زالت موجودة في الوقت الراهن؟!».

انقبض قلب رواء من وقع تساؤلاته، فهتفت في استنكار بالغ:

-«هناك أسرار عديدة تتعلق بهذه الحضارة الغامضة، التي جاءت إلى الأرض في الخفاء، حتى لم تُشكَّ البها
أية مصادر معلوماتية على الإطلاق».

رمق فارس بتوَجُّس التابوت، وهو يقول في حزم:

- «أكاد أجزم وبكل ثقة أن حل أحاجي هذه الحضارة يكمن في قلب هذا التابوت».

قال عبارته وهو يتقدم نحو التابوت متابعاً حديثه إليهم:

- «هَلُمُّوا لتكاتف ونزيع غطاء التابوت، لثميظ اللثام عن سره الغامض».

تقدموا جميعاً نحو التابوت، وما إن هموا برفع غطاؤه الضخم، حتى دوى ذلك الصوتُ الخشن الفظ قادماً من خارج حدود المقبرة، بلهجة مُفَعَّمة بالغَطْرَسَة:

- «قضي الأمر أيها السادة، هذه المقبرة من نصيبي أنا بلا شراكة من أحد».

على إثر عبارته توقفت أيديهم واستداروا إلى مصدر الصوت ليطالعهم جسد قوي مهيب، يعلوه وجه يحمل

الصقر، ورأس اشتعل شيباً، كان بيسراه يصب نحوهم
 مسدس قوي، ومن خلفه عشرة رجال أقوياء
 متحفزون بإشارة واحدة منه لسحق الفريق كله في
 لمح البصر بواسطة بنادقهم الآلية، وانقضت المفاجأة
 على رؤوس الجميع كالصاعقة، لتصيبهم حالة من
 الاضطراب والتوتر الشديدين، جعل الوجود يحل
 عليهم، وهم يحدقون في وجوه رجال العصابة في
 قلق وترقب، وكان فارس هو أول من تمالك نفسه وهو
 يقول بشجاعة يُخسَدُ عليها:

-« ولكن فعلك هذا يخالف القانون يا سلمان، وأنت في
 هذه الحالة تغتصب ثروات الوطن كله دون وجه
 حق».

انفرجت أسارير سلمان بضحكة مبتذلة بدت فيها
 أسنانه الصفراء المقززة، ونظره نحوه بتحدي، وهو
 يقول بصوته الأجش في زهو:

« من الواضح أنك تعرفني جيداً يا هذا، لذا فلا داعي
 لمقدمات التعارف السخيفة».

هز فارس رأسه وأجابه في استهانة:

-«ومن ذا الذي لا يعرف سلمان وهدان زعيم مهربي آثار مصر».

تقدم سالم بنرجسية من مدخل المقبرة، ولوح بكفه في حركة مسرحية، وبلهجة يعتريها الاستهزاء قال في صلف:

-« فليكن أيها الهمام، دافع عن حق الوطن بكل قواك، ولنرى هل تتمكن بفريقك الهزيل هذا، من هزيمة رجالي الأشداء؟».

أشار إليهم بعجرفة، وطرقع إبهامه بسبّابته، وهو يضيف بنبرة جادة تليق برجل أريب :

-« أم تنتهي حياتكم هنا كشرذمة صراصير حقيرة، بعدها سيئول إلي ما في المقبرة من آثار».

قالها وهو يتقدم باستعلاء وترفع بولوج المقبرة بجسده القوي، عندها ألح على فكر الرائد سيف لبرهة

أن ينتزع مسدسه ويطلق عليه الرصاص، وهو يواريههم عن رجاله بجسده الذي يكاد يغلق به الباب، ولكنه تراجع وطرده الفكرة من ذهنه مع انتباهه أنه بذلك يكون قد فتح أبواب الجحيم على مصراعيها، وانتظر الخطوة التالية من خصمه الذي عبر إليهم لتتسع عيناه وتلتمع من فرط الجشع، وهو يرى محتويات المقبرة خاصة تابوتها الذهبي، ولم يدرى بنفسه إلا وهو يضع يده على جانب غطاؤه وزفر وهو يتصور أن بإمكانه أن يرفع الغطاء منفرداً، ولكن مع محاولته، فجأة وبدون سابق إنذار شقت فراغ المقبرة حزمة من الأشعة الزرقاء صادرة باتجاهه من البلورة، وسرعان ما اخترقت رأسه الضخمة فانفجرت مثل بيضة فاسدة، وتحولت جمجمته في طرفة عين إلى أشلاء تناثر فتاتها على غطاء التابوت، بعدها تهاوى جسده أرضاً غارقاً في بركة من دماؤه، وكأن هذه المقدمة المأساوية كانت بمثابة الإشارة التي ينتظرها رجاله، فأطلقوا نيران بنادقهم بسخاء صوب البلورة، التي لم تهتز من مكانها المستقرة فيه، وأردت الرصاص منها بدوي عنيف دون أن يؤثر فيها بخدش واحد، ولم

تنتظر طويلاً فسرعان ما حسمت الأمر بشعاع آخر أطلقتته، ليس باتجاه هؤلاء الرجال كما تصور الجميع، ولكن الهدف كان الزر الداخلي لباب المقبرة فأصابته بدقة متناهية وأحالاته إلى أثر بعد عين، فحدث الانزلاق السريع للباب لتنعزل المقبرة تماماً عن العالم الخارجي، بعدها انتفضت أجساد الفريق بكل قوة بعد إغلاق المنفذ الوحيد للمقبرة، ليصبحوا سجناء مع بلورة قاتلة، وما خفي كان أعظم و..

وأخطرا!

(8)

نَاقُوسُ الْخَطَرِ!

جاء وقع اللحظات الصامتة التي تلت إخفاق الناقوس
 الآتي على الوجوه أشبه باعتراف صريح بالفشل
 الذريع، واعتصرت الأحزان قلوب الجميع بقبضات
 فولاذية باردة، حتى أن القائد راوتر شق الصمت
 المهيب، مطلقاً من بين شفثيه زفيراً ملتهباً حمل كل
 يجيش في صدره من انفعالات تعبر عن سخطه
 وغضبه البالغين، وهو يقول لجموع العلماء في مرارة
 بلهجة محبطة :

- « مستحيل أن يتخلى عنا النجاح ، بعد كل هذا
 الانتصار ».

خرج المقاتل من داخل الناقوس بخيبة الأمل مطأطئ
 رأسه، يجر أذيال الهزيمة، وهو يتمتم في نبرة أقرب
 إلى البكاء:

- « معذرة يا سيدي، فالأمر خارج عن إرادتي بحق ».

أوماً له القائد راوتر برأسه متفهماً، وحاول أن يبتلع
غُصَّة ألم وحزن اختنق بها حلقه، وهو يقول لكبير
علمائه متسائلاً بلهفة غريق يتعلق بقشة:

-«ألا توجد طاقة بديلة يمكننا استغلالها لكي تسعفنا
في عملية الإرسال؟!».

أطرق العالم برأسه وأجابه في أسى:

-« للأسف يا قائدنا المبجل الناقوس مصمم بحيث
يعمل بطاقة الفوتون دون سواها، ومع تسرب المخزون
أصبحت الرحلة شبه مستحيلة».

صمت العالم برهة وهو يزن بعض الأمور العلمية في
رأسه، قبل أن يضيف في جدية :

-« في حقيقة الأمر السفر عبر الزمن عملية عسيرة
ل للغاية، ولكن فكرة الناقوس جعلت الأمر يسيراً، وذلك
من خلال صنع الناقوس فيما حوله مجالاً
كهرومغناطيسياً، يظل يتعاظم بقوة حتى يشق الحاجز
بين الأبعاد الزمنية، ويتغلغل فيها بحيث يندفع نحو

نقطة الصفر الزمني، ومن هذه البؤرة تكون بداية الانطلاق الحقيقية إلى أية بقعة نشاء في الكون، وإلى أي زمن نحدده، وهذا ضروري نظراً لاختلاف زمننا مع كوكب كيلت، فالسنة هناك تعادل يوماً بمقياسنا الزمني.».

بكل ما يعتمل في نفسه من انفعالات، هتف القائد راوتر بعصبية:

-« أليس من الممكن أن يتم تعديل مصدر الطاقة ليلائم استبداله بطاقة أخرى.».

استغرق العالم في تفكير عميق دام دقيقة كاملة ليقول له بعدها :

-«هذا الأمر لابد من دراسته أولاً مع هيئة كبار العلماء، قبل إعطاء القرار النهائي حياله.».

هز راوتر منكبيه العريضين وهتف به في حسم :

-«فليكن ابدءوا إذاً من الآن في دراسة تلك الفكرة، ولكن أريد النتائج بأقصى سرعة ممكنة، فالوقت هو العامل الوحيد الذي نعجز عن إيقافه، لأن مضيئه قدماً قد يعنى نهايتنا».

قال عبارته فأوماً له العالم برأسه مؤيداً، وراح بجداً ومثابرة ينغمس في دراسة ذلك التعديل الجوهري مع فريق العلماء، اللذين أخذوا يدرسون ويمحصون الأمر بكل دقة، والوقت يمضى في سرعة، وقائدهم ينتظر القرار على أحر من الجمر، وبعد مشاورات دامت يوماً كاملاً مَرَّ علي راوتر سنين، وكاد القلق أن يعصف به، قبل أن يجتمع مجلس علمائه على قرار واحد، أشعل الأمل بقوة في فؤاد النوبلز، بإمكانية التعديل..

ليثلج القرار صدر القائد راوتر الذي أَمَرَ على الفور بتنفيذ التعديل المطلوب على أرض الواقع، وبلا تقاعس أخذ فريق من المختصين بالشروع في عمل التعديلات اللازمة بنشاط جم، حتى انهمكوا في العمل بأقصى طاقاتهم وكل جهدهم، سابقوا الزمن بكل قوة وإصرار على النجاح، واصلوا الليل بالنهار بلا كلل أو

مَلَلٌ، وأخيرا استقر الناقوس الآتي في مهابة أمام القائد راوتر الذى فغرفاه في انبهار شديد، وهو يرى الناقوس في حلة جديدة، بعد تطويره ومدّه بتلك العدسة المعتمدة التي تعلو سطحه على شكل قوسي، عدسه ضخمة أخذت في صنعها وتدشينها من الجهد ما يفوق طاقه المختصين مجتمعين، ولكن كان تصميمهم لإثمام العمل أقوى حتى من الإجهاد نفسه، ليتنفس الجميع الصعداء بعد هذا الإنجاز الرائع، الذى جعل كبير العلماء يقول للقائد راوتر في نشوة:

-«الآن يا فخامة القائد الأعلى، اكتملت المرحلة النهائية من التعديل ليصبح الناقوس يعمل بالطاقة الشمسية».

هتف به راوتر في حماس يمتلئ بالظفر:

-«نجاح منقطع النظير أشكركم عليه باسم شعب ساجوم كله».

قال كبير العلماء في حسم

- « يجب أن نسرع بنقل الناقوس لسطح الكوكب حتى ندرك ساعة الذروة، حيث تكون شمس الكوكب الثلاثة في أقصى شدتها ».

أمر القائد راوتر بتنفيذ ذلك على الفور، ثم تابع وهو يحثهم على الإسراع قائلاً:

- « لقد حانت اللحظة الحاسمة يا رجال، هيا لنقتنص تلك الفرصة السانحة، ونعيد المجد الساجومي كسابق عهده ».

وبالفعل تمكنوا من الصعود بالناقوس للسطح، بل وأقاموا بجواره قبة دائرية عازلة تجمع فيها كل النوبلز عن بكرة أبيهم، لمشاهدة التجربة العملية للناقوس بعد تطويره، تحميهم القبة الهائلة تماماً من أخطار أشعة شمسهم الرهيبة التي لم يعتادوها في حياتهم كلها، وكانت لحظة تاريخية نادرة الحدوث بالفعل، وراح المتطوع للمهمة يتأهب لارتداء الزي الخاص بالرحلة، حينها هتف به القائد راوتر في حزم:

- « على رسلك أيها المقاتل، فأنا سأتطوع للقيام بهذه المهمة من أجل ساجوم ».

تعلقت به كل العيون المشدوهة، وهو يستطرد بصوت قوى قائلاً:

- « فالقائد الحق هو أول من يتقدم الصفوف ، لذا فأنا الأولى بمجابهة المخاطر من أي شخص آخر ».

حاول كبير العلماء إثناؤه عن قراره، ولكنه أبى العدول عن موقفه، عندها لم يجد كبير علمائه بُدًا من أن يشرح له كافة تفاصيل الرحلة الآتية، وأخذ القائمون على التجربة يعملون كخلية نحل وهم يعدون كل شيء كما هو مرتب، الناقوس الآتي تم وضعه في نقطه تماس مخصصة بدقة، لكي يتمكن من الانطلاق بنجاح إلى هدفه..

أثناء ذلك توجهت أنظار الحشود الغفيرة من النوبلز تحت القبة العازلة، إلى تلك الشاشات الهولوجرامية العملاقة المعلقة في فراغ القبة، وهي تنقل لهم صورة

القائد راوتر وهو يمشي بخيلاء واثق الخطى، مرتدياً زياً مَقْوًى متطور لونه برونزي ذي خوذة معدلة من الزجاج المصفح بلونها الأسود الداكن، ومدجج بترسانة من الأسلحة المدمجة الفتاكة التي لا قبل لأحد بمواجهتها موضوعة في حزام طيران يطوق خصره، وبمجرد دلوفه للداخل شرع يمرر أنامله على الرموز بنفس التتابع الذي أخبره به علماءه مراراً من قبل، ومع كل تمريرة كانت كل الوجوه كأنها انصهرت في شخص واحد يحمل نفس الروح والحماس، وهم يرتقبون تلاشي الرمز الأخير، واضعين أيديهم على صدورهم المرتعدة من الخفقان، حتى راوتر نفسه بالرغم من تماسكه ظاهرياً، إلا أن ذهنه لم يهدأ من التفكير في إمكانية نجاح الانتقال من عدمه، وعواقب ذلك على النوبلز، لأن الفشل هذه المرة يعني نهايتهم جميعاً، حتى العلماء تراصوا يتابعون تلك اللحظات العصبية بقلق وحذر، ويعتريهم الخوف من استقبال عدسة الناقوس لأشعة شمسهم بمعدل ضخم لا تتحمله، فيحدث ما لا يحمد عقباه ومع اختفاء الرمز الأخير

على الشاشة اكتملت تهيئة الناقوس وبدأ العد التنازلي لتمر التجربة بأخطر مراحلها..

وبالفعل تحول سطح العدسة من معتم إلى آخر مصقول لامع واستعد لاستقبال الأشعة، ومع أول حزمة ضوئية، هوت قلوب العلماء في أقدامهم مع حدوث ما كانوا يخافون منه، فالأشعة الضوئية الثلاثية كانت أقوى من المعدل المطلوب لاحتمال العدسة، لم تشطرها نصفين، أو حتى تنسفها نسفاً كما كانوا يخشون، ولكن من شدتها أبعدت الناقوس عن موضعه نصف المتر فحسب، وكان هذا بمثابة كارثة رهيبة يعرف العلماء وحدهم أبعادها، صحيح أن الناقوس وفقاً لمؤشرات الطاقة حصل على ما يكفيه لعملية الانتقال، ولذلك فهو في جميع الحالات سينطلق بعد وقت قصير، ولكن بهذا التحرك المفاجئ عن نقطة التماس سيتغير مساره حتماً، وسينطلق إلى مكان آخر في الكون الفسيح لا يعلمه إلا الله، لذا راحوا يصرخون بان تحرك الناقوس من مكانه سيتسبب في فشل التجربة، فطافت عبر عقول الدهماء فكرة موحدة

بضرورة عودة الناقوس إلى مكانه بأي ثمن كان، ولم تكد الفكرة تستقر في قرار أنفسهم، حتى وضعوها بالفعل موضع التنفيذ..

وفجأة ودون إشارة مسبقة، انتفضوا من جمودهم، وانطلقوا في تصميم وإرادة يتسابقون وهم يركضون أفواجا في اتجاه الناقوس، وبمجرد ملامسة أقدامهم الأرض خارج القبة الزجاجية، اندلعت صرخاتهم الرهيبة تشق عنان السماء، وكأنهم ولجوا للتو إلى قلب الجحيم،

بالرغم من ارتدائهم أزياء واقية كانت تحميهم في باطن الكوكب، ولكنها لم تمنع التأثير المخيف لأشعة شمسهم، والتي أصابتهم بحرارة رهيبة جعلت جلودهم تكوى ويخرج منها ما يشبه الدخان الأزرق، فانهار الكثيرون منهم أرضاً وبعزيمة لا تلين راحوا يزحفون نحو الناقوس في مشهد تقشعر من هوله الأبدان، وهم يطلقون صرخات العذاب والهلع من قسوة الشمس الالهية، وبالعمل نجح

الوصول للناقوس، وامتدت أيديهم تلمس سطحه

الكريستالي لكي تدفعه نحو مكانه الأصلي، فسرت في أجسادهم أشعة مهلكة جعلتهم يلتصقون بجسم الناقوس الملتهب وانصهروا لتمتزج دماؤهم بلحمهم، فصاروا مثل كتل البازلت الأسود، ذلك المشهد البشع شاهده الفوج الثاني الذي لم يرهبه الموقف بل أقدموا بشجاعة وهم يضعون أيديهم في أيدي بعضهم وهجموا على قلب رجل واحد، بعد أن ضحى رفاقهم بأنفسهم حتى يصنعوا لهم بأجسادهم عازل بسيط من الحرارة، فتكالبوا على الناقوس ودفعوه بأخر نفس يتردد في صدورهم، فكان مصيرهم مثل أسلافهم، ولكن تلك الدفعة بالرغم من ضعفها، إلا أنها زحزحت الناقوس نصف المسافة المطلوبة، ومع وصول الفوج الثالث تمكن بأخر دفقة قوة لدى أفرادهم من إعادة الناقوس لنقطة التماس، هذا ما رأوه بعيونهم القرمزية قبل أن تسيل مع أجسادهم وابتسامة النصر تعلو شفاههم مع تزامن انتهاء العد التنازلي، واستقرار الناقوس في نقطة انطلاقه، لينشأ حوله مجالاً كهرومغناطيسياً أخذ في التصاعد وهو يدور حول محوره بسرعة مذهلة، ومن مكانه بداخل الناقوس رأى

القائد راوتر دوامة من الألوان الممزوجة تدور في سرعة كبيرة، و موجة عاتية من الأصوات المتداخلة أحدثت طنين مزعج اخترق تلافيف مخه، جعله يغلق عينيه من الألم الشنيع، حتى لم يتسنى له رؤية الشمس وهي تشرق وتغرب في تعاقب مدهش، وفي الخارج تألق الناقوس بوميض قوي مبهر أغشى أبصار الجميع وأجبرهم على الإشاحة بوجوههم، ودوت في الأجواء صوت فرقة عنيفة كادت تصم الآذان، وما إن تلاشت حتى اتسعت العيون في دهشة، وخفقت القلوب بقوة وهي تنظر باتجاه الناقوس الذي سكنت حركته تماماً، وخلف سطحه الشفاف لم يكن هناك أثر للقائد راوتر الذي اختفى تماماً، تاركاً الجميع خلفه في لجة من أفكارهم المخيفة، وتساؤلاتهم الحائرة...

هل تمت التجربة بنجاح، وتمكن قائدهم من الوصول إلى هدفه بسلام؟!

أم أنه ضاع في غياهب الكون السرمدي في رحلة زهاب بلا عودة؟!

وظلت الأسئلة معلقة في الهواء بدون جواب حتى
إشعار آخر.

وجدوا الباب يقف أمامهم صامداً لم يصاب حتى
 بخدش واحد، ومن جراء المسعى المستميت لمرعي
 خادم سلمان المطيع في إيجاد منفذ لدخول المقبرة
 عثر على الزر الخارجي للباب، وبالرغم من أنه ضغط
 عليه إلا أن شيئاً لم يحدث، فانتابه شعور جامح
 باليأس والإحباط، وكان من الجلي بالنسبة للجميع أن
 باب المقبرة قد أغلق وإلى الأبد!..

ولم يكن فريق هيئه الآثار بالداخل في حال أفضل،
 وهم مجتمعون في أحد أركان المقبرة، ينتظرون
 خطوة البلورة التالية التي جاءت بأسرع مما كانوا
 يتوقعون، عندما تعاظم ضوءها تدريجياً ليتمركز
 التوهج في قمته تاركاً جوانبها خافتة، ليحرق أفراد
 الفريق في الوضعية العجيبة التي صارت عليها،
 واستيقنوا أنهم يواجهون جهازاً مبرمجاً على حماية
 المقبرة بما فيها، وقبل لحظة من انطلاق حزمة الأشعة
 المدمرة هتف فيهم فارس، بأنفاس مضطربة في لهجة
 آمرة:

«أيها الرفاق.. تحصنوا بالتابوت!..»

قال عبارته وهو يقبض على يد رواء، ويهبط بها بسرعة أسفل الحامل الفضي للتأبوت، وبلا تردد لحق به الرائد سيف في نفس اللحظة التي انطلقت فيها أشعة أرجوانية كادت أن تصيب الدكتور زاهر ولكنه نجح في تجاوزها بأعجوبة، وحاول قدرتي أن ينجو بنفسه، ولكن حركته البطيئة شابهها بعض الارتباك بسبب جسده المفرط في البدانة، والذي ارتج بعنف ليهتز منظاره فوق عينيه، فرفع كفه ليثبتته، ولكن لم تمهله الأشعة التي غشته وأحاطت جسده بغلاف متوهج، مكونة حوله هالة ضوئية عجيبة تغير لونها الأرجواني إلى زرقاء مخيفة، وسرعان ما انكمشت، ومعها راح جسده ينضغط ويتقلص، حتى صار حرفياً في حجم عقلة الإصبع، ثم فجأة تلاشى الوهج المحيط به، وانفجرت الفقاعة بدوي مكتوم، لتمزق جسده إرباً، وتتناثر دماؤه وأشلائه لتفترش أرضية المقبرة مثل غُثاء السيل، أمام أعين رفاقه المشدوهة، ومعه فاضت عينا رواء بالعبرات، فأخذت تتحب لتنحدر دموعها بغزارة على وجهها، وهي تتحاشى بصعوبة ليخرج صوتها بحشرة مفهومة بالكاد:

-«رحماك يا رب، لم يَزْتَكَبْ قَدْرِي ذَنْباً أَوْ جُزْماً حتى يلقي حتفه بهذه الطريقة الشنعاء؟!».

ربت فارس على كتفها في مودة، وعيناه تترقرقان بالدموع الحبيسة، فحاول جاهداً منع فيضان المشاعر الجياشة التي تدفعه للبكاء، ولكن على الرغم منه سرعان ما أطلق سراح دموعه، لتفر هاربة على خده، فتنهد وغمغم في أسى بصوت يقطر مرارة:

-«فليتغمده الله برحمته، لقد كان صديقٌ وفيٌّ مُخلص ينذر أن يجود الزمان بمثله!».

تمتم الدكتور زاهر ببعض آيات من القرآن الكريم رثاء لصديقه الراحل، وهو ينخرط في بكاء حار، وراح الرائد سيف ينظر خلسة ذات اليمين وذات الشمال، ومن طرف خفي رمق البلورة التي هدأ وهج ضوءها ليستقر شاملاً سطحها كله، لتبرق في استكانة، وكأنها لم تقم بمذبحة بشعة منذ لحظات فقال متسائلاً:

تساءل الرائد سيف في حلق:

-«هل سنظل طويلاً في هذا الوضع المهيّن، مختبئين كالقُتران من هذه البلورة الملعونة؟!».

انقلبت سَحتته فصار عابساً، وهو يستل مسدسه مردفاً:

-«إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ، فَمِنْ الْعَارِ أَنْ أُمُوتَ جَبَاناً!».

وفجأة وبلا أدنى مقدمات انطفأ ضوء البلورة ليسود الظلام الدامس أرجاء المقبرة، ليلتقي حاجبا سيف بشدة، فرفع فوهة مسدسه نحو التابوت واستعد أن يضغط الزناد هاتفاً بحزم:

-«فلنرى ماذا ستجلبين من جراب الحاوي لتدافعي به عن محتوى التابوت أيتها الحِرباء المتلّونة؟!».

تجمدت أصابعه فوق مقبض المسدس، إبان حدوث

تلك الظاهرة المدهشة عندما استعادت البلورة نورها

بغته، ولكن بضوء خافت بلون قرمزي باهت، لتتسع
العيون حتى كادت تتفجر من الذهول، الذي احتلت
جيوشه عقولهم حتى النُّخاع، وهى ترى أجساد سلمان
وهدان وزميلهم قدري قاسم المسحوقين منذ قليل
أمام أعينهم، وأشلاؤهم تتجمع بواسطة شيء خفي،
كمشهد سينمائي فلاش باك يمضي للخلف بالعرض
السريع، لتتشكل ملامحهم التي ألفوها بالتصاق
أشلائهم ببعضها البعض في الهواء، حتى أنهم رأوا
دماء الحياة تسري في عروقهم، لتتماسك أجسادهم
ويصبحوا أصحاباً في النهاية، بفعل سحر أسود، ومثل
عنقاء تدب فيها الحياة بعد الفناء، نهضا الصريعين
نهوض الموتى من تراب القبر، وبدءا في المشي
مثيرين الرعب فيمن يشاهدهم، يترنحون في وقفاتهم
كالسكارى، سالم بجسده العملاق وملامح وجهه الحادة
الغليظة، وقدري ببدانته الواضحة، وقسمات وجهه
الطفولية، التي حملت في تلك اللحظات شراسة
مخيفة، وهو يخطو نحوهم!..

ليشعر الدكتور زاهر بشعر رأسه ينتصب، ويشيب قبل
الأوان من فرط الفزع، فانكمش متقوقعاً على نفسه
كالسلحفاء، وقبضت رواء على ساعد فارس لتستمد
منه الحماية والدعم، ووضعت راحتها الأخرى فوق
عينيهما لتفركهما بقوة، حتى يتسنى لها التأكد أن ما
تراه حقيقة جلية، وليست وهماً بصرياً خادعاً، أما
سيف فبرز من مكمته وانتفض متخذاً وقفة قتالية
متحفزة، لصد الهجوم الشرس الذي بادره به سلمان،
لينتبه إلى أنه لا يزال ممسكاً بمقبض مسدسه فصوبه
نحوه، ولكن قبل حتى أن يضغط الزناد جاءت ركلة
بقوة غاشمة من قدم سلمان، ضرب بها قبضته فأطاح
بمسدسه، ليرتطم بالجدار المقابل للمقبرة ثم يرتد عنه،
حينها فقط أيقن إلى حتمية القتال بالأيدي العارية،
لأنه يواجه خُصمين حقيقيين ليسوا أشباحاً على
الإطلاق، بل هم في ظاهر الأمر موتى ولكن أحياء.

(10)

مُفتاح عَنخ

في ظل طقس ربيعي معتدل أشرقت شمس النهار
 الأخاذة، لتضفي على ذلك الصباح جلالاً وبهاءً يخلب
 الأبواب، وبسحرها المعهود غمرت بأشعتها الذهبية
 ربوع البلاد والعباد، لتنبئ عن يوم صحو منعش في
 عيون الأفواج السياحية من الأجانب الذين قدموا
 لعاصمة أم الدنيا، للتمتع بمشاهدة أمجاد تاريخها
 التليد، وأمام المتحف المصري الكبير الواقع علي بعد
 أميال قليلة من غرب القاهرة، بالقرب من أهرامات
 الجيزة توقفت تلك الحافلة، ليتأهب جموع السائحين
 بداخلها إلى الهبوط منها لدخول المتحف، وهم يمنون
 أنفسهم بقضاء ساعات بهيجة أثناء تنقلهم بين الآثار
 الفرعونية العظيمة، ولكنهم اصطدموا خارج أسوار
 المتحف بتحركات متوترة من رجال الأمن ، وكأن أمراً
 جلياً قد حدث بالداخل، ومن أمام البوابة الرئيسية
 للمبني قابلهم مدير المتحف بابتسامة دبلوماسية

حاول أن يخفي بها اضطرابه، قائلاً للسائحين بلُكنة إنجليزية سليمة:

« حضرات السيدات والسادة مرحباً بكم في أرض الكنانة، برجاء قبول اعتذاري الشديد، لأننا لن نتمكن اليوم من فتح أبواب المتحف، نظراً لأعمال صيانة شاملة نقوم بها في تلك اللحظات».

بعدها دار نقاش وجدال طويل بينه وبين مرشد الفوج السياحي، لتتعالى همهمات مستنكرة معترضة من السائحين لهذا القرار الصادم، ولم يلبث الأمر طويلاً حتى توقفت سيارة سوداء فخمة تحمل لوحة أرقام مميزة، غادرها رجل رفيع المستوى، يعرفه جميع العاملين في الأوساط السياحية، كان وزير الآثار في إثره مباشرة طاقم حراسته، ولم يكذ يقترب من الحشد حتى تجمهروا حوله متسائلين عن السبب الحقيقي الذي يحول دون دخولهم للمتحف، وبابتسامة مهذبة حاول تهدئتهم، وهو يشير بكفيه قائلاً بلهجة غربية خالصة:

- «أمر الإغلاق لن يتعدى اليوم، وفي الغد سيعود المتحف كسابق عهده».

قالها وصافح مدير المتحف، وهو يسرع الخطى، وبمجرد دلوّفه للمبنى هتف بالمدير مفرغاً كل انفعالاته المكبوتة:

- «هل الصورة التي أرسلتها على الواتس آب منذ سويعة حقيقية، وليست فوتوشوب يا فاروق؟!».

أشار فاروق إلى سلم مميز يتحرك صاعداً للأعلى أوتوماتيكياً، وحمل صوته الكثير من القلق، وهو يجيبه بنبرة مرتبكة:

- «لقد تأكدت بصرياً من الأمر يا سيادة الوزير، والصورة صحيحة لا لبس فيها».

وضع الوزير قدميه على بداية الدرج، وفرك كفيه في عصبية، وهو يقول بانزعاج:

- «ولكن الصورة تُعد خارقة للمألوف، وما أخبرتني به
حيالها يخالف كل قواعد الفيزياء المعروفة!».»

قطب فاروق جبينه وضرب الدرج بطرف حذائه، وهو
يقول في توتر:

- «ما هي إلا ثوانٍ وتتأكد من صدق حديثي معك يا
فخامة الوزير».

لم يكد الدرج المتحرك يصعد بهم إلى نهايته، حتى
تركوه يكمل دورته، وتجاوزوه بخطوات واسعة نحو
قاعة عرض مشيدة على طراز معماري فريد، مليئة
بفتارين تعج بآثار مختلفة مستكشفة حديثاً، وما إن
ولج الوزير القاعة حتى شهق شهقة قوية، وارتعدت
فرائصه وهو يتقدم بتؤدة ليُمثل أمام حامل أخضر
مَرْمَرِي يرتكز عليه أفقياً مستطيل زجاجي ينتصب في
تجويفه مفتاح مزخرف بِالْوَان شَتَّى موضوع على
قطيفة حمراء من نسيج المُخَمَل، المفتاح مصنوع من
معدن مصقول بالذهب النقي مقبضه بيضاوي معكوف

على شكل عروة لوزية مثبتة على جسم رأسي قائم،
يفصل بينهما جزء عرضي.

وبمجرد أن تبينَ الوزير حالة المفتاح، حتى هتف بمدير
المتحف في لهجة حاسمة:

- « هيا يا فاروق أوْمَر رجالك بإخراج مفتاح الحياة من
موضعه، لمحاولة إيقاف تلك الظاهرة العجيبة التي
ستأتي عليه حتماً! ».

على الفور أشار مدير المتحف لأحد مساعديه بسرعة
التنفيذ، وهو يقول للوزير في توتر:

- « لقد كنت على وشك اتخاذ هذا القرار بمجرد رؤيتي
للحالة المزرية التي اختصت المفتاح دوناً عن بقية
المعروضات، ولكنني خشيت أن تكون الأخطار جسيمة،
ونحن لا ندري بعد السبيل الصحيح لإيقاف عجلة ما
يحدث! ».

أخذ الوزير يتابع بشغف رجال المتحف، وهم يخرجون
المفتاح من الواجهة الزجاجية، وتلك الظاهرة المدهشة

لا تزال تحيط به فغمغم بلهجة محبطة:

- « حالة عجيبة تنذر بالخطر الوَيْلُ، وتحتاج بالفعل إلى خبير أثرى من طراز خاص! ».

جال بخاطره في تلك الأثناء فارس الجبيلي، فهتف يسأل قائلاً:

- « أين حازم فريد؟! ... ائْثُونِي بِهِ في الحال! ».

من خلفه بلغت أسماعه إجابة بصوت صدَع ناطقاً في إنصياح:

- « في خدمتك يا سيدي ».

استدار إلى مصدر الصوت متسائلاً بلهفة:

- « هل جاءتكم أنباء جديدة من الصعيد عن فارس الجبيلي وفريقه؟! ».

ارتسمت على شفتي حازم ابتسامة زائفة وهو يجيبه قائلاً:

- « في الحقيقة الأخبار مبتورة منذ وصول طائرة الفريق إلى منطقته جبل أبو حاد».

ازدرد لعبه بصعوبة، وهو يستطرد في حيرة:

- « فالطيار بعد عودته أخبرنا أنهم قد وصلوا سالمين، وحينما أردنا الوقوف على حالتهم لم نتمكن من الاتصال بهم للأسف، وبدا وكأنهم محجوبون في منطقته نائية تخرج عن نطاق الخدمة اللاسلكية تماماً».

حملت ملامح الوزير تقطعية انزعاج، واشتعل مخه بعشرات الأسئلة، صرح بإحداها هاتفاً بثورة عارمة:

- « هل انتظرت كل هذه الساعات حتى أسال عنهم ثم تخبرني بما حدث؟! ».

زفر بحرارة، وهو يتابع في ضيق:

- « لماذا لم تبلغني بذلك الأمر في حينه؟! ».

اعترت هيئة حازم ارتباك عنيف، وهو يجيب الوزير قائلاً:

- « لقد أرسلت إليهم برجلين من أكفأ العاملين بالهيئة لاستطلاع الأمر على أرض الواقع، وبعد معرفتي بمجريات الأحداث حتماً كنت سأخبر سيادتكم بكافة التفاصيل. ».

عقد الوزير ما بين حاجبيه هاتفاً باكتراث:

- « لا أظن والأمر هكذا أن من أرسلتهما قادرين على كشف غموض ما يحدث هناك، لذا نحن بحاجة ماسة إلى طلب المساعدة من جهة سيادية عليا. ».

قال عبارته وهو يُخرج من جيبه هاتفه الشخصي المحمول، ويضرب أزراره في توتر ملحوظ، وعقله لا يَكلُ ولا يمل من التفكير في مصير مفتاح عنخ الذهبي، انتزعه من شروده اللحظي صوت الهاتف فانتبه إليه، وأخذ يسترسل في الكلام مع محدثه، وهو

كثب آخر تطورات حالته، وانتابته رغبة ملحة للفرار بعيداً من هذا الحاضر المخيف، فتحاشى النظر للمفتاح بأن أسبل جفنيه، وهو يتابع حديثه، ولم يكد يفتح عينيه في بطاء حتى إرتدَّ للخلف مصعوقاً، وهو يحدق في مكان المفتاح الأثري، فلم يلمح له أدنى أثر!

لأنه ببساطة شديدة كان قد اختفى عن الأنظار تماماً!.

(11)

حفلة شواء

حملق فارس في وجه صديقه العائد من الموت بطريقة مروعة لم يتصورها حتى في أبشع كوابيسه، وهو يبادلُه بنظرة كريهة ترتجف لها قلوب أشرس الرجال ضراوة، فربت على كف رواء وهب واقفاً على قدميه، ليواجه قدري وهو يهتف بصرامة:

- «أياً ما كانت حقيقة عودتك للحياة مرة أخرى يا صديقي، فأنت الآن مجرد خصم معادي حري بي التعامل معه بكل قسوة!».»

قالها وهو يعتدل في رشاقة ويضم قبضته ليهوى بها بكل قوته على وجه غريمه، الذي لم يتزحزح عن مكانه قيد أنملة، ليشعر وكأنه يلکم جداراً من الصخر الصلب، فأخذ يركله ركلات متتابعة بكلتا قدميه على ساقه، ولكن أيضاً بلا فاعلية، وفي أثناء ذلك كان سيف يلتحم في صراع عنيف مع سلمان، وهو يرفع فأسه

اليمنى ليركله في بطنه، ولكن هيهات فالرائد سيف رجل أمن تلقى تدريبات عالية المستوى في فنون القتال أهله لبلوغ مكانة رفيعة بين أقرانه، لهذا تفادى الركلة بجسده المرن في بساطة بانحناءة بارعة، بعدها ارتكز على قدمه اليسرى وبالأخرى سحب قدم خصمه، فسقط جسده الضخم مرتطماً بالأرض، ليخرج من فيه صيحة أشبه بزمجرة وحش مخيف، ارتعدت لها أوصال زاهر وجعلته ينطوي أكثر في مخبئه!..

أما رواء فتشجعت وهو تهب من مرقدتها لتؤازر فارس في تلك اللحظات العصيبة، فتعلقت بعنق قدري من الخلف لتعيقه عن مواصلة مصارعة رفيقها، فمد الأخير كفه السمين إلى ما خلف ظهره وانتزعها بقوة لا تدرى من أين اكتسبها، وألقى بها على ظهرها أرضاً بعنف لتنطلق صرخات هادرة من حنجرة فارس، وهو يراها تتأوه من الألم الشديد وانتفض كبركان تائر انفجر يغلي بالحمم، فضم قبضته وبكل ما أوتى من عزيمة وإصرار وبغضب بلغ مداه، هوى بها بكلمة كالمطرقة على عنق قدري، و أتبعها بكلمة ثانية فثالثة ورابعة

تمركزت في نفس الموضع، ولم يحتمل العنق كل هذه
 الكلمات المتوالية فانكسرت عظامه بصوت مسموع،
 ليركله فارس ركلة ساحقة تقوس على أثرها جسد
 قدري للخلف ليهوي مصطدماً بالأرض مخلفاً دويّاً
 هائلاً، عندها تناثرت أشلائه حوله في منظر مقزز،
 فأغمضت رواء عيناها لعدم استطاعتها رؤية ذلك
 المشهد الذي انتفض له قلبها بين ضلوعها، فغمغمت
 في رهبة:

-«رحماك يا إلهي..! أما من نهاية لهذا الرعب الذي
 تُكابده!».

وقف فارس يلهث، وأخذ صدره يعلو ويهبط من جراء
 المجهود العنيف الذي بذله في الصراع، ثم هب ليأخذ
 بيدي رواء وهو يقول لها بلوعة وجزع:

-«طمئنيني على حالك، هل أنت بخير يا ملاكي؟!».

قبضت بأصابعها على ظهرها، وأجابته بصوت واهن:

- «أشعر بآلام شديدة تسري في فقراتي القطنية و ..
!«.

بترت عبارتها وحملت عيناها جزعاً رهيباً، وهى تنظر
إلى ما خلف ظهره، فأردفت قائلة بتوتر ملحوظ:

- «سيف في خطر.. شَدَّ من أزره بالله عليك يا
فارس!«.

استدار على عقبه سريعاً، وهاله رؤية سيف وقد
طوقه سلمان من خصره، وهو يرفعه عالياً بقبضتيه
الغليظتين كأنه يحمل طفلاً رضيعاً، ملقياً به نحو
الجدار الذي ارتدَّ منه بسقطة هائلة أنت لها عظامه،
ورغم وضعه بالغ السوء لم يتركه سلمان لحاله، ولكن
اندفع نحوه بهدف القضاء عليه نهائياً، وانتفضت
غريزة البقاء في جسد الرائد سيف وهو يبحث بيديه
عن أية وسيلة يدافع بها عن حياته، فارتطمت أصابعه
بمسدسه الذي أسقطته ركلة غريمه في بداية الصراع،
فمن حسن حظه أنه سقط بجواره، وبلا ذرة تردد

مباشرة، وهو يضغط الزناد لتنطلق رصاصة صائبة بدقة منتصف جبهته محدثة بها ثقب أخذ خيط رفيع من الدم يسيل منها، وبالرغم من الإصابة القاتلة، بدا وكأن سلمان لم تؤثر فيه الطلقة، واستمر في السير المتمايل كالثور الهائج، حتى وصل إلى سيف، فضم قبضته وهو ينحني ليهشم رأسه.

- «العنق موطن ضعفه يا سيف!».

قالها فارس فلم يكذب سيف خيراً، فأطلق سلاحه حيث أوصاه فارس، ليفرغ ما تبقى من رصاص في خزانة مسدسه، تحديداً على رقبة سلمان فحولها إلى مصفاة مثقوبة من فرط الرصاصات التي أصابتها، ليرتج جسد سلمان الضخم للحظات قبل أن يسقط فوقه، وبات من المؤكد أنه سيكسر ضلوعه حتماً، ولكن سيف شحذ البقية الباقية من قوته، ليدور بجسده دورة خاطفة تفادى بها السقوط العنيف لجسد سلمان، الذي تناثرت دماؤه وأشلائه بعد ارتطامه بنفس

الموضع الذي كان يحتله منذ أن، فتنبس فارس

الصعداء بعد نجاته، واندفع لمعاونته على النهوض،

وبكلتا يديه رفعه عن الأرض، وسيف يكتم آلامه
بصعوبة، وبشفتين تحملان شبح ابتسامة غمغم
متسائلاً:

-« كيف توصلت إلى أن نقطة الضعف المميتة تكمن
في العنق يا فارس؟! ».

تنهد فارس بحرارة متمتماً:

-« بالصدفة البحتة بعد أن سقط غريمي مُجندلاً، دارت
في خلدي عصارة تلك القصة الموجودة في إياذة
هوميروس، بهذه النظرية المماثلة لكعب أخيل ذلك
البطل الأسطوري الإغريقي في حرب طروادة، الذي
كان يمتلك جسماً منيعاً، باستثناء عَقْبِهِ، وبمجرد معرفة
عدوه بنقطة ضعفه أصابه بسهم مسموم في وتر
العرقوب، خر على إثره صريعاً...! ».

قطع حديثه مع إنارة البلورة بإضاءة متذبذبة، كأنها
جهاز رادار كاشف يرصد ويتعقب الجميع، فأسرعوا
مرة أخرى للاحتماء بالتأبوت، خوفاً من تحول صوفا

أذهان الجميع، وهم غَرَقَى في بحرَ الحيرة المضطرب،
فانتشلهم فارس سريعاً من أمواجه المتلاطمة، بهتافه
المتوتر العصبي:

-« اعتدلوا .. لا تتسمروا واجمين هكذا! ».

قالها ثم أخذ بيد رواء الممتقعة لينهضا معاً، ومن ضيق
المسافة أسفل التابوت اضطروا إلى الوقوف آخذين
وضعية الركوع، واتبعهم زاهر الذي ارتجف جسده
بتشنجات عصبية، وعرق غزير تصبب على وجهه،
وانتابته فوبيا الخوف الغريزي من الموت حرقاً ،
فزاغت عيناه وهو يردد في ارتياح:

-« لا لا لا... لا أريد الموت بهذه الطريقة الفظيعة! ».

مط فارس شفتيه، ورمقه بنظرة ازدراء، وهو يقول
بانفعال في اشمئزاز:

-« ليس هكذا تؤخذ المصائب والنكبات يا رجل،
سنتجاوز هذه المحنة بإذن الله في سلام ».

ربت رواء على كتفه في محاولة للتهدة من رَوْعَه،
متممة بقلق شديد:

-« ارحمنا يا الله من هذا المصير الذي توعدت به الكفار
والعصاة من عبادك! ».

هتف سيف في غيظ مكبوت شاعراً بالعجز كنمر
حبس:

-« أعجب ما في هذا الظرف العصيب أننا نواجه بلورة
جامدة تحكم في مصائرنا بسادية! ».

سرت موجة عنيفة من التوتر فيما بينهم، مع مَرَأَى
الأرضية المعدنية المصقولة وهي تتصاعد منها أبخرة
كثيفة، لتزكم أنوفهم رائحة شواء أشلاء جثتي رفيقهم
قدري وتاجر الآثار سلمان، وبدا وكأن المقبرة تتحول
إلى فرن كبير مُتَّقِد بالنار، مع تغير لون الأرض التي
بَاتَ وشيكاً اقترابها الحثيث من درجة الإخمَرَار، ومع
الصَّهْدُ الخانق الذي لا يطاق خَلَعَ فارس سُثْرته وألقاها

تحت حذاء رواء الأخذة في التقافز من فوق الأرض
اللاهبة!..

وبرغم علم الجميع أن نزعهم لملابسهم الإضافية ما
هي إلا وسيلة مؤقتة لدرأ الخطر القادم بسرعة
الصاروخ، إلا أن سيف وزاهر قد حذو حذوه لتخفيف
ولو قليلاً من وطأة حرارة الأرضية التي اضطَرمَت إلى
حد أنها صارت جحيماً مشتعلًا، جعل ملابسهم تنكمش
سريعاً وتلتصق بالأرضية الساخنة، واختلط الألم
المستبد بالجنون، وصار التقاط الأنفاس أمراً شاقاً
عسيراً، وضافت حتى استحكمت حلقاتها، وحينها
رَضَخ زاهر للأمر الواقع، وأذعن إلى الاستسلام، فكان
أول الخارجين من أسفل التابوت ليعتلي غطاؤه، وثَبَعَهُ
الباقون حينما انقطعت بهم كل السبل فراراً من هذه
الميتة البشعة، وما إن بلغوا سطح التابوت حتى
تطلعوا إلى البلورة بنظرات حذرة مترقبة، لتبدوا
وكانها ترمقهم بنظرة تحدي صارخة، وهي تضحك
بقهقهة ظافرة شامتة، وضوئها يشع ليتمركز في بؤرتها
التي صارت نقطة متوهجة لأقصى مدى، ولم يعد

يفصلها عن سحقهم سوى أن تطلق عليهم أشعتها
الفتاكة، فأخذوا يحملون فيها بنظرات ملؤها الرعب،
وهم يثْلُونَ الشهادتين بشفاههم استعداداً للنهاية!.

(12)

وتبدد الظلام

في ساعة متأخرة من الليل، انطلق رنين هاتف مدير أمن قنا الذي كان يغط في نوم عميق بمنزله، لينتفض مفزوعاً على ذلك الرنين المتصل، وأخذ يتمتم بهمهمات غاضبة مستنكرة، قبل أن يضغط زر إضاءة الأباجرة المجاورة للفراش، ويلتقط هاتفه المحمول الخاص الموضوع على الكومود، وحقق في شاشة الهاتف قبل أن يضعها على أذنه، وهو يُبادر الطرف الآخر قائلاً بصوت خاشع هادئ :

-« عمت مساءً يا سيادة الوزير».

فَرَكَ عَيْنَهُ بِأَصَابِعِهِ لِيَطْرُدَ مِنْهَا غِبَارَ الثُّعَاسِ، وَهُوَ
يَسْتَطِرِدُ قَائِلاً:

-« يَا تُرَى أَيِّ رِيَّاحٍ طَيِّبَةٍ دَعَتْ فِخَامَتَكَ لِلاتِّصَالِ فِي
هَذَا التَّوْ...».

(12)

وتبدد الظلام

في ساعة متأخرة من الليل، انطلق رنين هاتف مدير أمن قنا الذي كان يغط في نوم عميق بمنزله، لينتفض مفزوعاً على ذلك الرنين المتصل، وأخذ يتمتم بهمهمات غاضبة مستنكرة، قبل أن يضغط زر إضاءة الأباجرة المجاورة للفراش، ويلتقط هاتفه المحمول الخاص الموضوع على الكومود، وحقق في شاشة الهاتف قبل أن يضعها على أذنه، وهو يُبادر الطرف الآخر قائلاً بصوت خاشع هادئ :

-« عمت مساءً يا سيادة الوزير».

فَرَكَ عَيْنَهُ بِأَصَابِعِهِ لِيُطْرِدَ مِنْهَا غِبَارُ النُّعَاسِ، وَهُوَ يَسْتَطِرِدُ قَائِلاً:

-« يَا تُرَى أَيِّ رِيَّاحٍ طَيِّبَةٍ دَعَتْ فُخَامَتَكَ لِلاتِّصَالِ فِي هَذَا التَّو...».

قاطعه الوزير وهو يهتف بلهجة حادة:

-«أخبرني بآخر أخبار فريق هيئه الآثار المتواجدون حالياً في مقبرة أبو حاد».

ازدرد مدير الأمن لعبه بصعوبة ليرطب حلقه الجاف، ولوح بيده شارحاً تطورات الموقف، كأن الوزير يراه:

-«لقد أرسلنا أحد جنودنا ليرشدهم إلى مكان المقبرة، دون التدخل في شؤونهم كما أمرتني، ثم عاد إلينا تاركاً الفريق يستكشفون المقبرة بحرية تامة و...».

قاطعه الوزير مرة أخرى بصيحة هادرة كادت أن تصم أذنيه:

-«لقد وقعت في خطأ شنيعاً أيها القائد الهمام، بترك فريق هيئه الآثار بدون حراسة كافية، لتأمين سلامتهم من أي مكروه قد يصيبهم».

وصمت برهة ثم استطرد حانقاً:

-«لقد انقطعت الاتصالات اللاسلكية بالرائد سيف وجميع من معه دون سبب معروف، وكأنهم ولجوا مقبرة بها ما يمنع المكالمات الهاتفية، ويشوش عليها تماماً!«.

اضطربت مشاعر مدير الأمن، ولكنه تمالك أعصابه واندفع قائلاً بحسم:

-«سأرسل على الفور بفرقة من قوات التدخل السريع لاستطلاع الأمر».

تنهد الوزير بعمق، ثم هتف بنبرة صارمة:

-«هيا يا رجل دون لحظة إبطاء واحدة، ونتعشم أن يصل فريقك هذا إليهم في الوقت المناسب، قبل إفلات الخيوط من بين أيدينا».

قالها وهو يغلق هاتفه، ولم تمضي دقيقة إضافية حتى اتصل مدير الأمن بأحد رجاله، الذي لم يكذ يسمع صوته، حتى عاجله قائلاً بلهفة يكسوها الحزم:

- «حسام انطلق سريعاً على رأس فرقة من رجال الشرطة، ومعكم كل الأسلحة اللازمة إلى جبل أبو حاد لمعرفة مصير فريق هيئة الآثار هناك».

وبالفعل لم تمض على هذه المحادثة نصف الساعة فحسب، حتى كان العقيد حسام هناك مع فريق الأمن يواجهون ما تبقى من رجال سلمان وهدان، ليحدث صدام مباشر غير متوقع من كلا الطرفين، ولكن فريق الشرطة أمسك بزمام الأمور بعد زوال تأثير المفاجأة، فشنوا هجوماً عنيفاً على رجال العصابة اللذين استتبسلوا في قتالهم بضراوة، ليسقط قتلى من الجانبين، وارتبكت العصابة بشدة فتقهقروا بالانسحاب للخلف ليجدوا أنفسهم بين المطرقة والسندان، محاصرين بين جدران الكهف من جانب، ورصاص رجال الشرطة من الجانب الآخر، فرفعوا راية الهزيمة كي ينجو بأرواحهم من براثن الموت، بعدها أمسك العقيد حسام بتلابيب أحدهم قائلاً بخشونة:

- «أين ذهب فريق الآثار؟!». Icecream PDF Editor

أشار الرجل نحو باب المقبرة المغلق، وهو مُطأطئ رأسه وبانكسار ذليل راح يخبره بما قد كان، لتطوف في مخيلة العقيد حسام صورة مخيفة لما يحاك للفريق بالداخل، وانعكس ذلك على صوته، وهو يغمغم بانزعاج حاد:

-« لو كان الأمر كما تدعي يا رجل، فحَدسي ينبئني أن فريق هيئة الآثار قد خاض أهوالاً فظيعة أوردتهم موارد التهلكة! ».

وكم كان شعوره دقيقاً، فالذي يُحيق بالفريق في تلك اللحظة شَنِيعاً بالفعل، بل ويفوق طاقة البشر على الاحتمال!.

فجأة وبدون سابق إنذار هَدَأ ضوء البلورة لتستقر عائدة إلى سيرتها الأولى، تزامن هذا مع وميض نقطة صغيرة في فراغ المقبرة، أخذت تتألق وتتعاظم بوهج فيروزي والهواء يتخلخل من حولها، وبدأ وكان شيئاً من نار يشطرها إلى نصفين، ثم دوت فرقة عنيفة في

المكان، واكب ذلك انشقاق الفراغ ليتمخض عنه بروز القائد راوتر وكأنه نشأ من العدم، ومع ظهوره أخذ أفراد الفريق يحدقون فيه بانبهار بلغ حد الذهول، وهو يقف في الهواء كما لو أنه يتحدى قانون الجاذبية الأرضية، قبل أن يقفز نحو الأرض رافعاً قبضته مثل سوبرمان، ولم يكد يطأ الأرضية المعدنية بقدميه، حتى انخفضت درجة حرارتها وأصبحت طبيعية، وفي هدوء ضغط راوتر جانب خوذته السوداء فخلعها عن رأسه، وحدث أشلاء الجثث المتناثرة بنظرة مُشمِزّة، ثم صوب بصره ناحية البلورة، وأشار بكفه، وهو يهتف بلغته العجيبة، التي بلغت مسامع الفريق، بصوت بدا وكأنه قادم من أغوار بئر عميق:

- «كفالك إراقة للدماء أَيْتَها البلورة الرادعة!».

- «من تكون يا هذا؟!».

صاح فارس بهذا القول، وهو ينتفض لينتزع نفسه من حيرتها الشديدة، ورفاقه من حوله يحبسون أنفاسهم من فرط الدهشة، فلم يعبا راوتر بإجابة سؤاله، ولم

بغيره حتى انتباه، بل تقدم نحو البلورة التي استعادت هيئتها الضوئية المألوفة، وما إن لمسها بأصابعه حتى انزلقت بسلاسة من مكانها لتستقر بين كفيه في بساطة، ثم أخرج من حزامه جهاز صغير أشبه بأجهزة الترجمة الفورية، ثبت سماعتيه في كلتا أذنيه قبل أن يلتفت نحو الفريق، وهو يشد قامته في اعتداد، ومثل القادة المغاوير، هتف كأنه أسد هصور بلغة عربية ركيكة:

-«أنتم أيها الأرضيون اهبطوا من فوق التابوت، حتى أتمكن من استعادته ما جئت من أجله!».

بعقلية أمنية بحتة صنف سيف راوتر باعتباره في خانة الأعداء، لذا استلّ مسدسه بحركة غريزية، غافلاً عن خلو خزائنه من الرصاصات، وصوبه مباشرة في وجه القائد الساجومي، هاتفاً بحدة صارمة:

-«توقف أيها المخلوق الدخيل، وإلا حولت رأسك إلى منخل دقيق!».

اتسعت عينا سيف عن آخرهما، وسقطت فكه السفلى
 عندما رَأَى راوتر في سرعة يمسك بماسورة المسدس
 بيده الحرة، ويلويها بين أصابعه بقوة خارقة، كما لو
 كانت مصنوعة من العجين، ثم ينتزع المسدس المشوه
 من قبضته، ويلقيه أرضاً بعنف، لتشمل أجساد الفريق
 رهبة كاسحة، امتنعت معها وجوههم، فتبادلوا نظرات
 حائرة، واعتراهم وجوم تام، فلم يَجْشُر أحد على
 التفوه ببنت شفة، ليضطروا مُذْعِنِينَ للهبوط من فوق
 التابوت، بعدها قام راوتر بوضع البلورة على غطاء
 التابوت، لتتدحرج حتى استقرت فوق النقش المماثل
 لها، والمتصل بالثعبان المجنح، ثم غاصت في قاع
 التابوت، وغابت لثانية واحدة، خرجت بعدها وهي
 تحمل الغطاء، وحلّقت به في الفراغ، قبل أن تهبط به
 أرضاً!..

وهنا تخلص فارس عن جموده ليقترب ناظراً في جوف
 التابوت بشغف حقيقي يتوق للاطلاع، فأتجهت إليه
 العيون المترقبة في آن واحد، وبهت زملائه حينما

وجدوه يرتد للخلف مصعوقاً، وهو يهتف بدهشة
الدنيا:

- « ما هذا الهراء؟!... ».

ولوح بذراعيه في الهواء ضارباً راحتيه ببعضهما
بانفعال حارق، مردفاً بصوت مبحوح:

- « تابوت أجوف فارغ! ».

ارتسمت علامات الذهول بحذافيرها على وجوه رفاقه،
واصطدمت بضحكة راوتر الساخرة، وهو يقول في
تَهَكُّم:

- «الزم مكانك مثل رفاقك، وانتظر حتى أشبع فضولك
الشره للمعرفة! ».

قالها وهو يضغط زراً فسفورياً في حزامه، ليتردد في
جنبات المكان أزيزٌ شديد مثل الرعد، وأضيئت المقبرة
ببريق قوي مباغت غمر المكان كله، لينشق الفراغ مرة
أخرى عن قضيب معدني محدود التقطه راوتر في

-«ولعلمك هذا المفتاح يخص حضارتنا نحن، وليس أجدادك الأقدمين!».

أراد فارس أن يُجادله لِيُدحض ويُكذب هذا الادعاء، ولكنه آثر السكوت، مُتَحِيرًا من هذا الرَّدِّ الغير مدعوم بأية حُجَّة أو دليل يُبْزهن به على صدق كلامه المُرسَل، وعند قاعدة التابوت السفلية توقف راوتر، وإِشْرَابٌ بعنقه يتطلع إلى باطن التابوت، قبل أن يدس المفتاح هناك في ثقب يطابق مقدمته، ويديره في بطاء مثير، ليتحرر رَتَّاج داخلي، وتنفتح للخارج خزانة صغيرة توارت معالمها مع النقوش التي تملأ قاعدة التابوت كاشفة عن مجسم مخروطي زيتوني اللون من البلور النقي، قاعدته مستديرة في حجم كرة التنس، ترتفع مستديرة على شكل مثلث!..

وبكل لَهْفَات الدنيا إلْتَقَطَ راوتر المجسم الزيتوني، وعيناه تلمعان بالألْق الشديد، وأخذ يتمعن فيها بانبهار كاسح، ويبتسم ابتسامة متوجة بإكْلِيل النصر المُبِين، قبل أن يخرج من حزامه القنطور مكعب أحمر اللون، قام بوضع المجسم فيه بحرص شديد، وأغلقه ثم

أَلصقه بحزامه، وتنهد من أعماق صدره قائلاً بارتياح غامر:

- «مرحباً بعودتك مرة أخرى إلى أحضاننا يا تاريخنا المجيد».

انحلت عقدة لسان رواء، فصاحت متسائلة بتهكم لاذع:

- «هل هذا التابوت يحمل فقط تاريخ قديم، تدافعون عنه بكل هذه الشراسة؟!».

تلاشت ابتسامة راوتر، وزفر وهو يجيبها بتأثر نفسي:

- «المجسم الذي تسخرين منه قد ضحى الآلاف بأرواحهم الطاهرة ودمائهم الزكية من أجل استعادته، هذا لكونه مدمج فيه تاريخنا بحذافيره، وكافة المنجزات والاختراعات الحديثة المتطورة التي كانت لدينا في الماضي قبل أن يدمرها الهاكرا الملاعين».

-«ومن خَشِيتنا لهجوم جحافل الهاكرا على مخابئنا، وخسارتنا لحضارتنا بضربة قاصمة، أرسلنا بتوجيه آلي مجسمنا المدمج إلى أرضكم منذ آلاف السنين بواسطة السفينة الفضائية الوحيدة التي نجت من الدمار الذي حل بكوكبنا، لكوننا نعلم أن علومكم لم ترتقي بعد إلى إمكانية كشف أسرارنا، وأخفينا السفينة بدرع واقٍ يحاطتها بموجة كهرومغناطيسية قوية، جعلتها تتلشى عن أجهزة الرصد وهي تدخل مجالكم الجوي، حتى تستقر في باطن الجبل، ولأن مدى إخفاء السفينة كان تأثيره لأعوام محدودة، لذا استعادت هيئتها الطبيعية بعد مرور هذه الفترة الزمنية، وما إن اكتشفتم وجودها حتى اطلقت لنا إشارة استغاثة، وقامت البلورة على الفور بتوجيه أسلحتها للذود عن محاولات السطو على تاريخنا...».

بالرغم من لهفته العارمة للمعرفة، إلا أن فارس تداخل معه في الحديث، وتساءل متعجباً، وقلبه يخفق بقوة:

-«يُفهم من هذا الحديث أننا نفك الآن داخل سركتنا
فضائية، وليست مقبرة أثرية كما تبدوا للعيان؟!».

رسم راوتر شبح ابتسامة على قسّمات وجهه، وهو يقول بلغته غير الأرضية، ليُسمع أصحاب الآذان الواعية لغته العجيبة، عبر المترجم الفوري الذي أخرجها بالعربية:

-«هذه حقيقة صحيحة تماماً، فمن شدة انبهارنا بالمقابر الفرعونية، قمنا بتصميم سفننا الفضائية من الداخل على نفس طابعها المميز».

مضت لحظات من الصمت المهيّب، جاهد خلالها الحاضرين لاستيعاب مداركهم العقلية تلك المعلومات العسية على التصديق، عندها تهيأ راوتر للرحيل بأن اتجه نحو بقعة معينة في جدار السفينة وحرك كفه فوقها، لتضطرب تلك البقعة وتتموج، حتى تظهر فيها شاشة عرض ثلاثية الأبعاد، أخذ يمرر أنامله عليها بنظام معقد، ولكنه توقف فجأة مع ذلك الوميض الخاطف الذي أعقبه انشقاق الفراغ مرة ثالثة محدثاً صوتاً مزعجاً اخترق مسامع الجميع، مثل سوط هائل يضرب الهواء بشدة، ثم برز من الثغرة مخوف

آخر يرتدي نفس زي راوتر، الذي عقد حاجباه الكتان

الأشهبان حتى كادا يمتزجان، وارتعد قلبه بين ضلوعه،
وهو يهتف مشدوهاً:

-«من هذا؟!».

قالها والمخلوق ينزع عن رأسه خوذته السوداء
اللامعة، ليبدو من أسفلها وجه دميم الخُلقة، انتفض
لرؤيته جسد راوتر، وكأنه يستيقظ من براثن كابوس
مفزع، هاتفاً في توتر مَشوب بالانزعاج: -«مورلاك
المتعجرف آخر جابرة الهاكرا».

أطلق مورلاك ضحكة بغيضة أظهرت نواجذه، لتضفي
على قسماته قبحاً مضاعفاً، وأعلن راوتر التحدي بأن
إستلّ من حزامه سلاحاً فتاكاً، أشهره في وجه خصمه
البشع، الذي قابله بالمثل، وهو يندفع نحوه بشرّ
مُستطير، ليتلاقى الغريمان ويتناحran في قتالٍ ضارٍ
شَرز، لن يفُض إلا بموت أحدهما..

أو كِلَاهُمَا.

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

مايو* صيف*2018

لو كان لي من إكليل فلن أهديه لأحد سواه..

الذي لولاه ما قرأت كلمة ولا صغت جملة..

إلى من غرس البذرة فصارت هذه الرواية..

لمن صورته لا تغيب كأنه لا يزال موجود ..

إلى روح أبي ذو القلب الرءوم الودود..

المحارب/ عبد المقصود.

إبنك/ راضي

مرثية

عذراً أبي الحبيب، فلن استطيع أن أرثيك من جديد

فلقد جفاني الدمع، وتلبدت مشاعري بجليد عتيد

فبعد غيابك لكم زرفت دماً من جسد شهيد

أين الأيام الخوالي التي قضيتها مع صغيرك الوليد؟!

لقد شاب بعد فراقك، وأمسى صباحه ليل شريد

غبت فولى الفرح عني، وضاق صدري بأنين العبيد

في دروب الحياة أمضي بلا سند يقيني سفاهة
الحشود

فيا ليتني فلّيت قبلك فلا تجرعت كأس فراقك المر
الصديد

فما أشقاني بعد رحيلك، ولكم سئمت أيام الهم الشديد

رحلت وذكراك في الفؤاد قابعة، وحبك يجري كالدّم
في الوريد

لا زلت أذكر أيام طفولتي وصباي، وبهجتي برفقتك
في صلاة العيد

لذا فبكياني سأردد دائماً أبداً، فليرحمك ربي ويهبك
الفردوس الفريد

{ شكر وعرفان بامتياز لأصحاب الفضل العزاز }.

إلى صهري، ومُسند ظهري ذو النِّيَّة الخالصة لوجه الله،
أحسبه كذلك، ولا أزكي على الله أحداً، سماحة العلامة
الشيخ القدير/ أحمد هاشم البهنساوي، الذي لولاه ما
كان لهذه الرواية أن ترى النور.

وإلى حماتي الملاك الحنون، تلك التي لو طفت الكون
بأسره فلن أجد مثل طيبة قلبها، ونقاء سريرتها، وسمو
أخلاقها في معاملتها، وبزها لجميع الناس.

*أساتذتي وأصدقائي الأفاضل من كتاب الكلمة
المبدعين:

خالد الذكر العزاب الراحل د. أحمد خالد توفيق

الكاتب اللامع د. نبيل فاروق رمضان

الأستاذ/ خالد الصفتي

الفنان/ فواز محمد هنتش

أ/ أحمد سعيد (نيجور)

أ/ محمد صلاح زكريا

د/ سيد زهران

أ/ محمد عبد الرازق

أ/ محمد الناغي

الفنان/ محمد محسن

الكابتن/ أحمد إبراهيم

الشاعر/ محمد خليفة السمان

*الصديقات الفضليات، ومنهنّ أدبيات العصر النابغات:

أ/ لمياء السعيد/ ألاء حسين العجماوي/ أميرة علي/
حنان الغزاوي/ سارة الهواري/ فاطمة كمال/ نهاد شيبة
الحمد/ نورهان أحمد عباس/ الفنانة: نهلة بكر/ الفنانة:
وفاء زغلول

*أصدقائي الغوالي ورفقاء العمر في الشدة والرخاء:

طارق غطاس ((Tito / ربيع عبد الله/ سامح سمير
أحمد لطفي السيد محروس/ أحمد عبده الجندي/
أيمن بكر (أبو شادي) الحسيني سليمان / سيد
السجيني/ سامح سيد ربيع العيسوي(أبو دنيا) / عبده
أحمد هاشم/ عمرو منجود عبد العزيز محمد(زيزو) /
محمد علي / محمد أمين علوان مجدي شلبي نصار /
مصطفى شلباية / وليد عبد المنعم.

تحية إجلال وإكبار للسادة المهندسين الذين أتشرف
بالعمل تحت قيادتهم بشركة المقاولات المصرية
(مختار إبراهيم سابقاً):

لكم مني جزيل الإعتراز والتقدير.

وأخيراً وليس آخراً الشخصية الحقيقية التي استلهمت منها بطل هذه الرواية، الجميل دمت الخلق، الذي أفخر وأعتز كثيراً بصداقته؛ المطرب الوسيم ذو الصوت الحالم.. مسك ختام الطرب الأصيل ..

أسطورة الغناء العربي.. أمير العشق: {فارس الجبيلي {

وغيرهم من الأصدقاء الكثيرون مما لا تتسع الصفحات لذكر أسمائهم، لهم مني جميعاً جزيل الشكر والتقدير لدعمهم الدؤوب لشخصي حتى تخرج كتاباتي في أبهى صورة، وأتمنى من المولى عز وجل أن أحوز دائماً على ثقتهم الغالية ، من صميم قلبي شكراً جزيلاً لكم جميعاً ، مع أرق تمنياتي وخالص تحياتي.

{ نبذة عن إصدارات المؤلف }

أ/راضي عبد المقصود السيد محروس.

كاتب وروائي مصري..

صدرت له عن دار إبداع رواية (لحظات حرجة) عام 2014. وشارك في كتابين جماعيين هما ألم الاشتياق، بقصتي فتاة أخرى ودم الشهيد عام عن دار الحلم 2013، كما ساهم في الإصدار الثاني من سلسلة أدريينالين بقصة العدد لعنة الدم عن دار اكتب عام 2017.

{ خالص أشواقي وامتناني }



{ للتواصل مع الكاتب }

facebook.com/RadyAbdElmaksoudElsaed

Icecream PDF Editor

radiabdo.radiabdo@yahoo.com